علي حسن العبادي

نظـــــرات
في الأدب والتاريخ والانساب



الطبعـــة الأولـــى
عام ١٣٩٧ هـ ـــ ١٩٧٧ م

منشورات نادي الطائف الأدبي

الاهداء

الى صاحب اليد الطولى والقدح المعلى في تأسيس الأندية الادبية بوطننا الغالي واظهارها الى الوجود ••

الى من منح هذه الأندية عطفه وشملها برعايته وأخذ على عاتقه نشر أدبنا السعودي الخالد ورفع رايته وتثبيت قيمتهفي الداخل والخارج••
الى الشاب الرائد الأمير « فيصل بن فهد بن عبد العزيز آل سعود » الرئيس العام للرعاية العامة للشباب ••

أهدي كتابي هذا اعترافا بفضله على الأدباء وشكرا جزيلا على تشجيعه لهم ، ورمزا لحبهم وتقديرهم واحترامهم لسموه العظيم •

رئيس نادي الطائف الأدبي

علي حسن العبادي

مقدمـــــة

هذه بعض فصول في الأدب والتاريخ والانساب ، نشرتها من مدة ليست بالقريبة في صحفنا المحلية ، وتناولت فيها مسائل عديدة في التاريخ والانساب وقضايا مختلفة في الأدب • • وقد توخيت فيها الصدق والاتقان والحقيقة والتبيان • •

ونزولا عند رغبة زملائي أعضاء النادي الأدبي بالطائف في أن تحتل هذه الفصول مكانها بين مؤلفاتنا الأدبية ، جمعتها بين دفتي كتاب ، وأرجو أن تلقى من معشر الادباء والكتاب الرضى والاستحسان ومن جمهرة القراء العناية والقبول •

مدينة الطائف في ١٢ / ٢ / ١٣٩٧ هـ

٣١ / ١ / ١٩٧٧ م

المؤلف

الشيخ الطنطاوي والامتحانات

اطلعت على ما كتبه الاستاذ الشيخ علي الطنطاوي في جريدة المدينة العدد (١٢٢١) الصادر في ٤ / ١ / ١٣٨٨ هـ عن الامتحانات . . وقبل أن أبدأ المناقشة والرد ألخص مقال الشيخ للسادة القراء :

١ — هل الامتحانات ميزان صادق لكفايات الطلاب ؟

٢ — ألا يمكن أن نجد طريقة أحسن منها ؟

٣ — لماذا يحفظ الطلاب الكتب غيبـــا ؟

٤ — لو سألت الفقيه الكبير أن يعد لك سنن الصلاة لما قدر ، ولو جئت لأكبر علماء اللغة فكلفته أن يسرد عليك أوزان المجرد والمزيد من الأفعال بنفس واحد لعجز ، فلماذا نكلف الصغار المبتدئين بما يعجز عنه الكبار من الواصلين ؟ ؟

٥ — من من الاساتذة يحفظ الكتب غيبا ؟

٦ — الاستاذ يقعد على منبر الدرس فيفتح الكتاب وينظر فيه أو يقرأ في مذكرة في يده ويقرر الدرس ، فاذا عمل التلميذ مثله وفتح الكتاب يوم الامتحان أو نظر في ورقة عدوه لصا من اللصوص ومجرما من المجرمين وقبضوا عليه بالجرم المشهود وطردوه من الامتحان وسموا عمله غشا ووصموه بأنه غشاش ؟ ؟ ولماذا نطلب من التلميذ ما لا نطلب مثله من الاستاذ ؟ ولماذا يحرم على الطالب ما يجوز للاستاذ ؟ ؟

٧ — من المصححين المدقق والمتساهل والسخي بالدرجات والبخيل والنشيط والمتعب والموزع الذهن والمركز الذهن واستدل على ذلك بتجارب أجريت ذكر بعضها .

٨ — نددبالحفظ مرة أخرى وحكى عن الشيخ محمد عبده رحمه الله أنه قال لمن أخبره أن فلانا قد حفظ حاشية ابن عابدين كلها غيبا . . قال الشيخ محمد عبده زادت نسخة في البلد . .

٩ — دعا الشيخ الى التخلص من الامتحان ومساوئه ونادى بأسلوب آخر وصفه بأنه يكشف عن قوة الشخصية في الطالب وعن ملكته العلمية وعن قدرته على البحث ولم يبين لنا ذلك الأسلوب ! ! . .

ولأبدأ بعد هذا العرض السريع بالمناقشة التي آمل أن يتسع لها صدر الشيخ الاستاذ علي الطنطاوي لأنها في الحقيقة ليست مناقشة وانما هي اجابات صريحة للأسئلة التي ساقها الشيخ الطنطاوي ولم يضع لها الحلول كعادة الشيخ في بعض ما يكتبه ويذيعه . .

(الامتحانـــــــات شـــــر)

صحيح أن الامتحانات شر ولكنه شر لا بد منه ما دام رجال التربية لم يهتدوا بعد الى طريقة أخرى تحل محل الامتحانات ، والشر كل الشر في الأسئلة فاذا صلحت وتفادينا عيوبها أصبح الامتحان ميزانا صادقا لكفايات الطلاب ودعوة صادقة الى البحث والاستقراء والجد والاجتهاد والمثابرة والطموح والمناقشة الشريفة والاعتماد على النفس . يقول الاستاذ أحمد يوسف في كتابه « أسس التربية وعلم النفس » طبعة لجنة البيان العربي بمصر سنة ١٩٥٥ م. ص ٣٥٣ : — « ما من شك في أن الامتحانات ضرورة من ضرورات التعليم فهي لازمة حتما لأنها وسيلة القياس الوحيدة حتى الآن وستظل ضرورية حتى نجد وسيلة أخرى للقياس تحقق الأغراض المختلفة من الامتحانات وهذه الأغراض المختلفة هي : —

١ — أن الامتحانات تتبع التغير الناشىء عن النمو الذي تهيئه عملية التعليم ، هذه العملية التي يقصد بها معاونة الناشىء على النمو الكامل بحيث ينتهي في النهاية بشخصية نافعة تنفع نفسها وتنفع المجتمع الذي تعيش فيه .

٢ — والامتحانات ضرورية لأنها تكشف عن الاستعدادات الفطرية والميول والمواهب والقدرات والكفايات للتلاميذ وبذلك نتمكن من توجيه كل تلميذ حسب قدراته وميوله واستعداداته .

٣ — والامتحانات ضرورية لأنها تكشف عن المهارات المكتسبة للوقوف على قوة التلاميذ أو مقدار تحصيلهم في موضوعات معينة للحكم على صلاحيتهم لمتابعة مرحلة ثانية من التعليم . . »

وعاب علماء التربية الامتحانات لأنها في نظرهم : تنصب على الماضي والواجب أن تمهد لأغراض المستقبل هكذا قالوا . . ونادوا باصلاح عيوبها فقط وقاموا بمحاولات منها :

١ — محاولة القس فيشر .

٢ — الامتحانات المقننة .

٣ — الامتحانات الموضوعية .

واطمأن — بعد تلك المحاولات — رجال التربية الى الامتحانات ووثقوا في نتائجها . . ومن شاء الاستزادة في هذا الموضوع فعليه بكتب التربية ، وأضع بين يديه أسماء بعض الكتب التي رجعت اليها : —

١ — أساليب التربية الحديثة لجورج أ. فريلند ترجمة د / عبد العزيز عبد المجيد وزميله طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٩٥٥ م.

٢ ـ أسس التربية وعلم النفس للاستاذ أحمد يوسف طبعة لجنة البيان العربي بمصر سنة ١٩٥٥ م .

٣ ـ روح التربية والتعليم للاستاذ محمد عطيه الأبراش طبعة دار احياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٥٥ م .

٤ ـ في أصول التربية وعلم النفس للاستاذ محمد رفعت رمضان وزميله طبعة دار الفكر العربي بمصر .

٥ ـ التربية وطرق التدريس للاستاذ صالح عبد العزيز وزميله طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٥ م .

واني أرجو من الاستاذ الدكتور حسن خفاجي أن يقول رأيه وكلمته وعنده فصل الخطاب .

(سؤال حائر)

وماذا يعني الاستاذ الشيخ الطنطاوي بقوله : « الاستاذ يقعد على منبر الدرس فيفتح الكتاب وينظر فيه أو يقرأ في مذكرة في يده ويقرر الدرس فاذا عمل التلميذ مثله وفتح الكتاب يوم الامتحان أو نظر في ورقة عدوه لصا من اللصوص ومجرما من المجرمين وقبضوا عليه بالجرم المشهود وسموا عمله غشا ووصموه بأنه غشاش » وقوله : « فلماذا يحرم على الطالب ما يجوز للاستاذ » ومع أن هذا السؤال يمس كرامة المدرسين وينال من علمهم ويشهر بهم الا أنه لا أريد أن أضرب اخماسا في أسداس لأضع الجواب فقد يعني الشيخ غير ما أعني وقد يقصد غير ما أقصد وربما أسيء الظن ـ وبعض الظن اثم ـ فأضع جوابا يحيد عن الجادة ويبتعد عن الصواب .. ولكني أريد أن أقول بصراحة أن الشيخ علي قد أرضى بسؤاله هذا جمهرة من الطلاب لا يستهان بهم ممن لا يهتمون بواجباتهم ولا يعبأون بدرس المعلم ، ويضربون بارشاداته وتوجيهاته عرض الحائط لا يفتحون كتابا ولا يكلفون أنفسهم بحل مسألة من المسائل التي يطرحها المعلم على زملائهم يضيعون أوقاتهم في اللهو والعبث فاذا ما دقت ساعة العمل الجدي المثمر وطلع فجر يوم الامتحان ساروا اليه وكأنهم يساقون الى الموت يملؤون جيوبهم بقصاصات وجزازات يسمونها « البرشامات » يسهل عليهم بلعها عندما يكتشفها أحد المراقبين أو الملاحظين لقد أرضى الشيخ علي الطنطاوي هذه الجمهرة بقوله فرضوا عنه واطمأنوا اليه فكسب جانبهم وحظى بحبهم وضمن السلامة منهم . . أقول ضمن السلامة منهم لأنهم أصحاب شغب وضوضاء ولهم تاريخ سيء وماض لا يذكر بخير في المدارس والكليات والجامعات .

(الحافظـــة فضـــل من اللـــه)

لماذا يندد الاستاذ الشيخ الطنطاوي بالحفظ ؟ ولماذا يطلب أن يقتصر الحفظ على آيات من القرآن الكريم وطائفة من الأذكار الواجبة وجدول الضرب وبعض القوانين والمعادلات ؟ وما دليله على ذلك وما حجته ؟ ؟ ان قول الشيخ محمد عبده رحمه الله : « زادت نسخة في البلد » لا يصلح أن يكون شاهدا ودليلا ، لأننا عرفنا الشيخ محمد عبده ولم نعرف الرجل الذي حفظ حاشية ابن عابدين كلها استظهارا ، وأجزم بأنه من الأعلام المعاصرين للشيخ محمد عبده ، والا لما نال الاهتمام من الشيخ محمد عبده وجلسائه ، اذن هو نظير . . وكلام الاقران والنظراء في بعضهم لا يقدح كمايعلم الاستاذ الطنطاوي . .

لا تثبطوا الهممودعوا الطلاب يحفظون فما يضيركم اذا حفظوا وفهموا واستنبطوا ما يريدونه مما حفظوا فلا تأتي الملكة الا بالحفظ وكثرة القراءة . . وقد دون الحفاظ القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ودون الرواة أخبارنا وأدبنا شعرا ونثرا والرواة هم حفاظ . . فلولا الحفظ لذهب منا شيء كبير ولضاع علم كثير . .

وقد أثنى المؤرخون على رجال وقالوا عنهم : ـــ حاضروا المحفوظ واسعوا الرواية وأجمعوا على « أن أبا علي القالي البغدادي كان أحفظ أهل زمانه » .

وقالوا عن القاضي أبي الفرج المعلى بن زكريا : « اذا حضر حضرت العلوم كلها لأنه كان في نهاية الذكاء وحسن الحفظ وسرعة الخاطر في الجوابات » انظر نزهة الالباء لابن الأنباري ص ٢٢٦ طبعة مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٥٩ م . . وكان ابن دريد : ـــ « يتصف بحافظة قوية ظهرت في املائه كتاب الجمهرة على أبي العباس الميكالي من أوله الى آخره دون أن يستعينبالنظر في شيء من الكتب الا في باب الهمزة واللفيف وقد أملى الجمهرة سنة ٢٩٧ هـ . وعمره حينذاك أربع وسبعون سنة فلم تنل الشيخوخة من ذهنه وذاكرته » انظر ص (٩) من الاشتقاق لابن دريد تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون طبعة مصر سنة ١٣٧٨ هـ وله قصة عجيبة ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٢٩ طبعة الدكتور رفاعي . .

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ١٩٦ طبعة مصر سنة ١٣٤٦ هـ عن أبى الحسن الأزرق أنه قال : « كان ابن دريد واسع الحفظ جدا ما رأيت أحفظ منه وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق الى اتمامها وما رأيته قط قرىء عليه ديوان شاعر الا وهو يسابق الى روايته له لحفظه » .

وقال أبو الطيب اللغوي : « قال لي أبو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف وأجلس على دجلة أحفظها وأرمي بها . . » رسالة ابن القارح ص ٥٥ طبعة دار المعارف بمصر بتحقيق الاستاذ كامل كيلاني . .

« وكان أبو عمر والشيباني من أعلمهم باللغة وأحفظهم وكان الأصمعي من أتقنهم للغة وأعلمهم بالشعر وأحضرهم حفظا . . » .

ويقول الاستاذ الزركلي ج ٤ ص ٢٢٩ من كتابه القيم الأعلام الطبعة الثانية عن ابن عباس رضي الله عنه « وكان آية في الحفظ أنشده ابن أبي ربيعة قصيدته التي مطلعها أمن آل نعم . . فحفظها في مرة واحدة وهي ثمانون بيتا ، وكان اذا سمع النوادب سد أذنيه بأصابعه مخافة أن يحفظ أقوالهن » . .

ولقد أملى الامام السرخس الحنفي كتابه « المبسوط » الموسوعة الكبرى في مذهب أبي حنيفة وهو سجين بالجب في أوزجند بفرغانة ، فكان تلاميذه يذهبون اليه الى السجن فيأخذ في الاملاء وهم يكتبون فأملاه وليس له من المراجع الا حافظته القوية » انظر الجواهر المضيئة لابن أبي الوفاء القرشي ج ٢ ص ٢٨ طبعة حيدرآباد الدكن سنة ١٣٣٢ هـ. وقال الزركلي في كتابه الأعلام ج ١ ص ٦٨ من الطبعة الثانية عن الأديب العربي المعاصر ابراهيم عبد القادر المازني « لقد حفظ في صباه كتاب كامل للمبرد وكان ذلك سر الغنى في لغته » . .

وكتب الاستاذ عبد العزيز الرفاعي في جريدة المدينة العدد ١٢٢٠ الصادر في ٣ / ١ / ١٣٨٨ هـ. عن المرحوم مصطفى حمام الأديب المصري المعروف ما نصه : « وليست ميزة حمام أنه متحدث بارع ، كلا . . ليست هذه ميزته وحدها فهو أيضا كاتب بارع وشاعر بارع ويتمتع بحافظة نادرة قوية تختزن الأحداث وتسجلها لتعيدها حية ماثلة حينما تشاء . . » .

وهناك قصص كلها تدور عن حسن الحفظ وقوة الذاكرة تغص بها كتبنا القديمة حكاها مؤلفوها عن المتنبي وأبي تمام وأبي العلاء المعري ونصر الله بن الأثير وأبي نواس وأبي حيان التوحيدي والامام الكبير ابن جرير الطبري . .

ولماذا نطيل القول وكتب « الأمالي » و « المجالس » تقبع في رفوف مكتباتنا العربية الخاصة منها والعامة وهي نتاج الذاكرة والحافظة ولا شيء غيرها . .

ولقد قص علينا ابن القارح في رسالته التالي : « حدثني أبو علي الصقلي بدمشق قال : ـــ كنت في مجلس ابن خالويه اذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزانته وأخرج كتب اللغة وفرقها على أصحابه يفتشونها ليجيب عنها وتركته وذهبت الى أبي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها وبيده قلم الحمرة فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب » انظر رسالة ابن القارح ص ٥٥ طبعة دار المعارف بمصر بتحقيق كامل كيلاني . .

وهذا يدل ـــ ولا شك ـــ على أن علماءنا الأوائل رحمهم الله كانوا يستظهرون

جل ما يقرعون ويختزنون في ذاكرتهم ما يتعلمون ويتدارسون ويكبرون في أقرانهم حسن حفظهم ، لأن العلم في نظرهم ما احتواه الصدر لا ما حواه القمطر .

وهناك قصة أخرى وقعت لأبي يوسف مع استاذه الامام أبي حنيفة رحمهما الله ملخصها : — « رأى أبو يوسف في نفسه القدرة بأن يتصدر للفتيا فقعد مجلسا لها فلما عرف ذلك أبو حنيفة أدرك أن تلميذه قد تعجل فبعث اليه رجلا يسأله الرأي في خمس مسائل — ذكرت في مظانها — وكانت اجابات أبي يوسف خاطئة فأدرك من نفسه عدم القدرة على الفتيا وعاد الى شيخه الذي قال له كلمته المشهورة : تزببت قبل أن تحصرم من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه » .

وكان بوسع أبي يوسف أن يستمهل السائل ليعود اليه من الغد بالاجابات القاطعة بعد أن يراجع كناشته ويسأل غيره من الشيوخ أولي العلم والمعرفة ولكنهم ما هكذا كانوا يفعلون .



١ ـ حديث عن المستشرقين والطوطمية

لا ننكر ما للمستشرقين من يد طولى في احياء التراث العربي الخالد واخراجه في شكل يليق به . . فعلى أيديهم تم طبع كثير من المخطوطات العربية القديمة النادرة التي لولاهم لبقيت مكدسة في أماكنها يعلوها التراب والغبار وينخرها السوس ان سلمت من أيدي العابثين . .

لقد نهض فريتس كرنكو المستشرق الألماني الكبير وأخرج لنا « الدرر الكامنة » لابن حجر و « المؤتلف والمختلف » للأمدي . . و « معجم الشعراء » للمرزباني . . و « ديوان المعاني الكبير » لابن قتيبه . . و « الأفعال » لابن القطاع . . و « جمهرة ابن دريد » وغير ذلك من الكتب النادرة . .

ولفريتس كرنكو يعود الفضل في تسهيل وتيسير المراجعة في كتاب « الجمهرة » لابن دريد . . بوساطة الفهارس الأبجدية التي قام بوضعها وكونت مجلدا ضخما . .

ان ابن دريد قد رتب كلمات معجمه حسب الاشتقاق الكبير ، يشرح مادة بثر في باب الباء ثم ينتقل منها الى :ــ برث ، ربث ، ثرب . . انظر ١ : ٢٠٠ من الجمهرة . . ومادة بجل في الباب نفسه يذكر بعدها المواد التالية :ــ بلج ، جبل ، جلب ، لبج ، لجب . . انظر ١ : ٢١٢ و٢١٣ من الجمهرة . .

ومادتا :ــ « بح وبز » غير مادتي :ــ « بحبح وبزبز » الأوليان من باب الثنائي الصحيح ، والثانيتان من باب الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر كما سماه ابن دريد . . انظر ص ٢٤ و ٢٩ و ١٢٥ و١٢٦ ج ١ من الجمهرة .

وهذه الطريقة يصعب بها أن يستدل المطلع المتمرن على موضع الكلمة من المعجم بله القارىء العادي لولا هذه الفهارس المنظمة التي قام بوضعها كرنكو . .

أما المستشرق الاسباني الكبير فرنسسكو كودير ازيدين فاليه يعود الفضل في نشر مجموعة المكتبة العربية الاسبانية بمشاركة تلميذه ــ خليان ربيره ــ وتضم هــذه المجموعة :ــ « الصلة » لابن بشكوال . . و « التكملة » لابن الأبار . و « المعجم في أصحاب الصدفى » لابن الأبار أيضا . . وفهرست ما رواه ابن خليفة عن شيوخه . .

أما « بروفنسال » مدير جامعة الدراسات الاسلامية بجامعة باريس سابقا فانه اذا ما ذكر ، ذكر معه كتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم . . الذي قام بتحقيقه تحقيقا يدل على علم غزير ومعرفة تامة بالأنساب العربية . .

وغير هؤلاء كثيرون لا يسع المجال للتحدث عنهم . . ولكن هؤلاء لم يكونوا جميعا — وللأسف — في مستوى واحد من حيث الأمانة العلمية وصدق الرواية . . فكان فيهم المتعصب لدينه والمتهكم والمتحامل . .

ومن التهكم والتحامل ما قرأته أخيرا لبعض هؤلاء من أن قبائل العرب القديمة قد عرفت الطوطمية مدعمين هذا القول بأدلة واستنتاجات خاطئة مضحكة . .

والطوطم كما جاء في تعريفه : — « حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية وبخاصة أهالي استراليا الأصليين ويعتبر لحمه محرما على أفرادها الذين يعتقدون أنهم انحدروا منه . . ويحملون لذلك اسمه ويقومون نحوه بشعائر وطقوس معينة وبعض العشائر تتخذ طوطمها من النبات أو من الكائنات المادية . . والزواج عند هؤلاء مشاركة ولهذا كان النسب محصورا في الطواطم . . » .

فقال هؤلاء المتحاملون أن أسماء القبائل العربية الدالة على حيوان : كأنمار وضباب — بكسر الضاد المعجمة — جمع ضب المعروفة ، وكلب وأسد وعجل . والأسماء الدالة على أماكن ،كحضرموت أو على آلهة : — كقيس وشمس ومناة ، أو على جماعة كخزاعة ، أو على جماد كصخر ، أو على نبات : كحنظلة ، هي أسماء طواطم لا أسماء أشخاص . .

كلام سخيف وهراء وسفسطة . . وقاتل الله التحامل فانه يعمي ويصم . .

ان العرب القدامى كما هو معلوم كانت تختار أسماء الحيوان أو النبات أو الجماد وتطلقها على أبنائها لترهب الأعداء فاذا ما تلاحمت العشائر لسبب من الأسباب ودارت رحى الحرب بينهم وخاض أبناؤهم غمارها تنادوا بأسمائهم المرعبة : — يا حرب يا صخر يا أسد يا كلب يا نمر يا لهب يا حنظلة أحدثت هذه الأسماء الفزع والهلع في قلوب خصمائهم . .

يقول الجاحظ في كتابه الحيوان ج ١ ص ٣٢٤ طبعة عبد السلام هارون : « والعرب انما كانت تسمى بكلب وحمار وحجر وجعل وحنظلة وقرد على التفاؤل بذلك . . وكان الرجل اذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل ، فان سمع انسانا يقول حجرا أو رأى حجرا سمى ابنه به وتفاءل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر وانه يحطم ما لقى . وكذلك ان سمع انسانا يقول ذئبا أو رأى ذئبا تأول فيه الفطنة والخب والمكر والكسب . . وان كان حمارا تأول فيه طول العمر والوقاحة والقوة والجلد وان كان كلبا تأول فيه الحراسة واليقظة وبعد الصوت والكسب وغير ذلك » وسئل اعرابي : « لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو ذئب وكلب وأسد وجعل . . وعبيدكم بأحسنها نحو مرزوق ورباح ويسار وبشار . . فقال : — انما نسمي أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لأنفسنا . . »

تعليل طريف واختيار قد وفقوا اليه في عصرهم حتى أشرق فجر الاسلام فرأينا الرسول عليه الصلاة والسلام يفضل من الأسماء ما سهل لفظه وما عبد وحمد وأصدقها وعرف معناه ودل على خير ويمن وفأل حسن ولم يكن حوشيا . . فسلم خير من حرب وسهل خير من صخر وعادل خير من ظالم . .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام كلمته المأثورة : ــ خير الأسماء ما عبد وحمد وأصدقها حارث وهمام .

عند ذلك أخذت الأسماء الجاهلية تتلاشى وتحل محلها أسماء اسلامية كمحمد وأحمد وحامد وحسن وحسين وعبد الله وعبد الرحمن وعبد الملك وعلي . . الا في بعض الأحياء العربية التي استوطنت منابت الشجر وبطون الأودية وقنن الجبال وتمسكت بجفائها وغلظتها وعنجهيتها البدوية حتى عصرنا الحاضر . .

وان من العشائر العربية المعاصرة من تفضل أن تسمي بحنش وجروة وكليب وجحيش وبس وبسوس تفضل هذه الأسماء على غيرها وهي لا تعني سوى محاكاة وتقليد أسلافهم عرب الجاهلية الأولى . . وأكبر دحض لافتراء المفترين في التهكم الكاذب تلك الأسماء اللامعة الخالدة التي حملتها أكثر القبائل العربية : ــ كتميم وهذيل وقريش وثقيف وهوازن وغطفان وعامر بن صعصعة ومن تفرع من عامر : كأخيل وعقيل وخفاجه وقشير وكندة وهمدان ، ومن تفرع من همدان : ــ كحاشد وبكيل وأرحب وناعط وشاكر وخارف ويام وكثير وسبيع ــ بفتح السين ــ وغيرها من أسماء القبائل العربية ممن لم يتسم بحيوان أو نبات أو جماد . .

٢ ــ حبيس الأرض

قصيدة الاستاذ الشاعر الكبير حسين سرحان المنشورة في جريدة البلاد من مدة ثلاثة أشهر بعنوان : « رد التحية » ــ أو « حبيس الأرض » كما يحلو لي أن أسميها . . قصيدة قوية ذات جرس ترتاح له الأذن . .

تقرؤها من مطلعها حتى ختامها مرات ومرات فيزداد تعلقك بها وبأسلوبها السهل الممتنع . . ألفاظ قوية ، وكلمات حلوة ، ومعان جميلة واضحة وضوح القمر في الليالي البيض ، تهزك طربا عند سماعها ويزداد بك الطرب اذا علمت ان شاعرنا السرحان قد أملى هذه القصيدة الرائعة في دقائق معلومة على ابن عمه وأمين سره الأخ الشاب « زامل ناصر سرحان » . . أملاها وهو لم يبرح مكانه من غير تكلف ولا مشقة ، ولم يجر وراء قريحته اللاهثة كما يقول السرحان تواضعا في مقدمة القصيدة . .

أنا لا أريد من كلمتي هذه أن أبين الجمال الفني في القصيدة ، فهو ملموس واضح في كل بيت منها . . ان كلمتي هذه حاشية كتبتها للاعجاب والاطراء لتوضع حول هذه القصيدة الفريدة وقد عجز الشعراء المعاصرون الا القليلين أن يأتوا بمثلها . .

ولنستمع الى أبيات من هذه القصيدة البديعة : —

ما كـان مـن همـي ولا موعـدي آل يذيـق الحـر ثغـر الصـدى
ترقرقـت في البعـد أثباجـه كالسفن فـوق الخضـرم المزبـد
انـي لعنـه — جـد في غنيـة قلبـي دليلـي ومنـاري يـدي
فـلا تهجـني يا رصيـف الهـوى ولا تشط المـاء عـن مـوردي
لا تصـدق النائـم أحلامـه اذا أحـس الشـوك فـي المرقـد

في هذه الأبيات الخمسة يتحدث الشاعر عن السراب الذي ترقرقت أثباجه من بعيد وكأنه السفن فوق البحر المزبد ، يتطلع اليه الظمآن فيذيق السراب فمه شدة الحرارة . . وهو غني عن هذا السراب لأن قلبه دليله ومناره يده ، وبعد ذلك كله يطلب الشاعر من أليف الهوى ألا يبعد الماء عن مورده ، ثم يختتم هذه الافتتاحية الجميلة ببيت من الحكمة ، والحكمة ضالة المؤمن :

لا تصـدق النائـم أحلامـه اذا أحـس الشـوك فـي المرقـد

هذا هو تحليل الأبيات كما ترى ، والمعنى واضح جدا لا غموض فيه ، فأين اذن موقع الجمال ؟ الجمال في هذه الألفاظ الرنانة والمعاني السهلة المتنعة المرسلة على سجيتها وكأنها سلاسل الذهب . .

وأبيات القصيدة كلها تنبعث منها موسيقى رخيمة لا نشاز فيها تعشقها الأذن ويرتاح لها الفؤاد :

في سدفـة الليـل بـدت نجمـة وحـدى تبـث النـور للأوحـد
اعـتزل الركـب وتاهـت بـه نجـواه فـي مكنونهـا السرمـدي
وكـان يشـدو للمهـا للهـوى لـو قـد المـا بثـراه النـدى
أوتـاره تبكـي ويـا ربمـا تفصمـت عـن حجـر — جلمـد
قـال زعيـم الركـب مـا بالـه يـا ويحـه مـن هائـم مجهـد
خلـوه ثـم امضـوا لأهدافكـم وأوفضـوا بالطائـر الأسعـد
والطـير تزقوهـا هنـا أو هنـا « لبيدها » يبكـي علـى « أربـد »

توريه لطيفه جاءت مصادفة في الشطر الثاني « لبيدها يبكي على اربد » لم يتكلف لها الشاعر ويختتم شاعرنا قصيدته بهذين البيتين : —

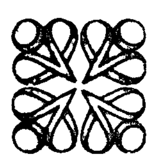
ضلت ركـاب القـوم ثـم اهتـدت وهـو حبيس الأرضـس لا يهتـدي

طليــح أعيـــاء رثيــث القــوى   فكيـــف تلقـــاه يــد المسـند

وصف دقيق للشاعر . . فهو هزيل من شدة الاعياء ، بالي القوى ، وقد حدثني من أيـــام . . بأنه لا يستطيع أن يمسك بالقلم لرعشة شديدة في يده ، وهو حبيس الارض لا يهتدي طريقه كغيره ممن سبقوه من المفكرين العظماء . . ومن حلته النفسانية والجسمانية هكذا ، فكيف يد المسند تلقاه ؟

سؤا ليطرحه السرحان وله أكثر من جواب ! وأميرنا الشاعر الكبير عبد الله الفيصل وقد أهداه شاعرنا قصيدته يعرف وجه الصواب في الجواب !

وتحية من الأعماق لشاعرنا المفلق الصديق حسين سرحان . .



وائل بن حجـــــر ..
وحضرموت القبيـــلة ..

قرأت تعقيب الأخ الفاضل صالح بن سعيد بن هلابي « حول لمحات من تاريخ حضرموت » المنشور في مجلة العرب الغراء العدد الثالث من السنة الثالثة الصادر في رمضان عام ١٣٨٨ هـ. وقد استلفت نظري ما كتبه الاستاذ حمد الجاسر باسم مجلة العرب حاشية على صفحة ٢٧٨ من العدد المشار اليه ، وتنص الحاشية على أن وائل بن حجر الحضرمي أحد أقيال حضرموت ، هو كندي بالنسبة للقبيلة وحضرمي بالنسبة للبلد . . ولا شك في أن الحاشية صدرت عن سبق قلم من الاستاذ الجاسر وجل من لا يخطىء . .

ولي على تلك الحاشية توضيح لا يخفى على الرجال المشرفين على المجلة الغراء وعلى رأسهم استاذنا الكبير العلامة الشيخ حمد الجاسر . . واني استسمح منهم العفو في ابدائه وأرجو ألا يروا فيه الا مجرد تعلقي بالبحث ووقوفي على الحقيقة .

وائل بن حجر الحضرمي ، أبو هنيدة من أقيال حضرموت القبيلة ، وفد على الرسول عليه الصلاة والسلام فرحب به وقال : ــ اللهم بارك في وائل وولده وأقطعه ارضا بالمدينة شارك في الفتوحات الاسلامية مع قومه واستقر مقامه في الكوفة وزار معاوية بن أبي سفيان لما ولي الخلافة فأجلسه معه على السرير واجازه ، فرد عليه الجائزة وأراد معاوية أن يجري عليه رزقا ، فقال : ــ أنا في غنى عنه وليأخذه من هو أولى به مني . . والى وائل ينتسب بنو خلدون باشبيلية ومنهم المؤرخ العربي الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي انظر الأعلام وقد خطأ ابن الأثير في كتابه اللباب ج ١ ص ٣٠٣ أبا سعد السمعاني الذي نسبه الى حضرموت البلد . . قال ابن الأثير : ــ وائل بن حجر الحضرمي منسوب الى حضرموت القبيلة المشهورة ثم ساق نسبه . .

واذا رجعنا الى الاكليل الجزء الثاني للعلامة النسابة الحجة الهمداني يكون الصواب بجانب ابن الأثير مع اختلاف في أسماء آباء وائل بعد أبيه حجر وهذا الاختلاف لم تسلم منه كتب التاريخ والتراجم التي تطرقت الى ذكر وائل .

ومع أن الهمداني يوضح لنا في ص ٣٧٨ من الجزء الثاني من الاكليل بأنه من ولد شبيب بن حضرموت الا أن شبيبا هذا لم يرد له ذكر في سلسلة نسب وائل . .

وبهذا كله يتضح لنا أن وائل بن حجر الحضرمي ليس من قبيلة كندة التي تقطن بلد حضرموت وكلمة الحضرمي نسبة الى قبيلة حضرموت . .

متى وقع الانتماء الى المواطن ؟

وقع الانتماء الى المواطن عندما لحق العرب أهل الأرياف من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصيبة فكثر الاختلاط وتداخلت الأنساب ولم يكن لا طراح العرب أمر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند امرائهم . . هذا ما يقوله ابن خلدون في المقدمة ج ٢ ص ٤٢٦ طبعة لجنة البيان العربي بتحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي . .

ولم يعرف العرب في العصر الجاهلي وعصر الخلفاء الراشدين ، الانتساب الى المواطن ودليلي على ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أورده ابن خلدون في الصفحة المشار اليها : « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا » .

من هي حضرموت القبيلة ؟

وأوضح أكثر وأقول عن الهمداني عن اكليله : ان حضرموت القبيلة منسوبة الى حضرموت بن سبأ الأصغر بن كعب ــ كهف الظلم ــ بن سهل بن زيد الجمهور على وزن سموأل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بالجيم بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير الأكبر . .

وأبناء حضرموت بن سبأ الأصغر هم : ــ مرة والحارث وشبيب وربيعة وفهد وتريم وتنعم ودعمى ، بطون كلها . .

ومن ولد الحارث بن حضرموت محمد بن عمرو بن عبد الله بن زيد الحضرمي قاتل معن بن زائدة الشيباني .

ومن ولد شبيب بن حضرموت بنو معشر ومنهم مسروق بن وائل الحضرمي من أمراء حضرموت القبيلة ، زاره أعشى قيس ومدحه بقصيدته : ــ

قالت سمية من مدحت   فقلت مسروق بن وائل

وقدم مسروق بن وائل الحضرمي على الرسول عليه الصلاة والسلام في وفد حضرموت فأسلم كما جاء في أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ ص ٣٥٤ الطبعة المصورة عن الطبعة الوهبية وممن دخل في حضرموت القبيلة من قديم الزمان قبيلة الصدف بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين ــ حتى تكلموا بلسان قبيلة حضرموت وتسموا . . بأسمائهم وقيل لهم أبناء الصدف مالك بن عمرو بن دعمى بن حضرموت بن سبأ الأصغر . . وان كانوا في الأصل هم أبناء مالك بن مرتع بن معاوية بن كندة وسمي الصدف لأنه صدف أي مال عن عشيرته كندة .

يورد الهمداني في الاكليل ج ٢ ص ١٤ قصة دخول الصدف مالك بن مرتع بن كندة في قبيلة حضرموت بن سبأ الأصغر . . ويخطىء الهمداني ابن الكلبي في ص ١٥ حيث يطلق ابن الكلبي اسم شهال بن عمرو بن دعمى بن حضرموت على الصدف . . فيقول الهمداني عليه الرحمة : — وفي مثل هذه المواضع المشكلة يأتي تخليط النسابين اذا كانوا عن الاحياء التي ينسبونها بمكان بعد وشحط وتخليط البادية اذ لم يكن فيهم من يقيـــد . .

ومن تخليط النسابين ما جاء في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٣١ طبعة دار المعارف بمصر تحقيق بروفنسال اذ أطلق على الصدف اسم الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن حضرموت الأكبر . وجاء هذا التخليط في كتاب معجم قبائل العرب للاستاذ عمر كحالة وكتاب الاعلام للاستاذ الزركلي ومن التخليط أيضا ما جاء عـــن نسب حضرموت في جمهرة أنساب العرب لابن حزم .

((آل الحضرمـــي مـــن سكـــان مكـــة .))

وممن ينسب الى قبيلة الصدف الحضرمية الخزرج وهم غير خزرج الأنصار ومن الخزرج : — أبناء الحضرمي واسمه : عبد الله بن عماد بن سلمى بن أكبر بن زيد بن ربيعة بن مالك بن عريف بن مالك بن الخزرج بن آبد بن أبيود بن مالك الصدف . .

وكان هذا البيت من الخزرج بن آبد قد سكنوا مكة في الجاهلية الجهلاء وثروا عددا ومالا وكل أولاد الحضرمي تزوجوا في أشراف قريش هم وأولادهم وتزوج أشراف قريش منهم وأولادهم . .

والعلاء بن الحضرمي هو : ابن عبد الله بن عماد بن سلمى بن أكبر بن زيد بن ربيعة بن مالك بن عريف بن مالك بن الخزرج بن آبد بن أبيود بن مالك الصدف ، من علية صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولي البحرين من قبل الرسول ومن قبل أبي بكر واستخلفه عمر على السواد بعد أبي عبيدة وتوفي في موضع يقال له تياس — بكسر التاء على وزن فعال وهو يريد البصرة من البحرين . .

ومن الخزرج بن آبد : مخرمة بن شريح الحضرمي حامل راية الرسول عليه الصلاة والسلام وعبد الله بن عمرو الحضرمي الذي وقعت على يده وقعة بدر وميمون ابن قحطان بن ربيعة الحضرمي الذي احتفر بئر ميمون بالأبطح بمكة يسقى عليها وتعرف ببئر ميمون وعليها مات أبو جعفر المنصور وقبر الى جنبها ولم يكن بمكة فـــي الجاهلية لقريش ماء شروب غيرها وكانت جاهليتهم وحلفهم الى بني عبد شمس ، وانما وقع عبد المطلب على زمزم بعد ذلك بزمان طويل .

وبهذه الحقائق التي أنقلها من كتاب الاكليل ج ٢ من ص ٢٨ حتى ٣٤ لنسابة اليمن الثقة أبي محمد الهمداني عليه الرحمة يتضح الآتي :

١ ـــ لم يوفق مؤرخونا القدامى والمعاصرون الذين أخذوا عنهم في معرفة سلسلة نسب العلاء بن الحضرمي . .

٢ ـــ لا صحة لما يقوله بعض المؤرخين من أن والد العلاء فقط هو الذي سكن مكة . . والصواب أن والده وعددا من أجداده مولودون بمكة .

٣ ـــ تياس ـــ بكسر التاء ـــ على وزن فعال ، موضع في بلاد بني تميم ، هو المكان الذي توفي فيه العلاء بن الحضرمي ، لا لياس ـــ باللام ـــ كما ذكر الزركلي في اعلامه وغيره من المؤرخين . . وانظر معجم ما استعجم للبكري ج ١ ص ٣٢٨ طبعة مصطفى السـقا . .

٤ ـــ ميمون بن الحضرمي الذي احتفر البئر بمكة وسميت باسمه ليس أخا للعلاء ابن الحضرمي كما يزعم بعض النسابين ومنهم ابن حزم في جمهرته ص ٤٣١ طبعة المعارف بمصر بتحقيق بروفنسال .

٥ ـــ عبد الله بن عمرو الحضرمي . . هكذا يسميه الهمداني وهو الذي بسببه كانت وقعة بدر الكبرى ونجد اسمه مغايرا عن ما جاء في سيرة ابن هشام الذي يسميه عمرو بن الحضرمي . . انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٠ طبعة المكتبة التجارية بمصر . . وأعتقد أن الصواب بجانب نسابة اليمن الحجة أبى محمد عليه الرحمة . .

(الحمـوم مـن بقايـا حضرمـوت القبيلـة)

وقد يتساءل سائل ، أفي حضرموت البلد قبيلة تنتسب الى حضرموت الأب ؟ في عصرنا الحاضر . . والجواب بالطبع نعم . .

ممن ينتسب الى حضرموت بن سبأ الأصغر ببلاد حضرموت في عصرنا الحاضر :
ـــ قبيلة الحموم بضم الحاء المهملة وضم الميم الأولى ، وهي قبيلة كبيرة تتفرع الى بطون عديدة . .

وكذلك الصيعر ، بطن من الصدف مالك بن مرتع بن معاوية بن كندة ـــ الذي دخل في حضرموت القبيلة من قديم الزمان وتسمى بالصدف بن عمرو بن دعمى بن حضرموت بن سبأ الأصغر كما أخبرنا بذلك الهمداني رحمه الله . . ولا تزال هـذه القبيلة معروفة باسم الصيعر حتى عصرنا الحاضر وتسكن في منطقة كبيرة ببلاد حضرموت وتمتد منطقتها حتى الربع الخالي واليها تنسب الابل الصيعرية . . وممن ينتمي الى قبيلة الصيعر : ـــ آل محفوظ ومنهم سعادة الشيخ سالم بن محفوظ مـن الاعيـان الاعـلام .

(بقايـــا قبيلـــة كنـــدة فـــي بلـــد حضرمـــوت)

أما من ينسب الى كندة ببلد حضرموت في عصرنا الحاضر فهم : آل مرتع وآل باكثير وآل سلامة وآل ابن اسحاق وال باجابر وغيرهم وال باجابر مشاييخ يسكنون عندلا التي يقول فيها امرؤ القيس الكندي :

كأنـــي لم أسمر بدمـــــون مـــــرة ولـــم أحضـــر الغارات يوما بعنـــدل

وكذلك سكان حورة من آل تجيب وبني الحارثة بن معاوية . .

ومن ملوك كندة في الجاهلية قيس بن معد يكرب الكندي صاحب مرباع حضرموت وهو والد الأشعث بن قيس الكندي ، وفد اليه الشاعر أعشى قيس الوائلي صناجة العرب ومدحه بأروع الشعر . . ولقد قال معاوية بن أبي سفيان لمحمد بن الأشعث بن قيس ابن معد يكرب الكندي : ـــ ما كان جدك أعطى الأعشى ؟ قال : ـــ أعطاه مالا وأشياء فقال معاوية : ـــ لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى . .

((حميـــر الأصفـــر أخ لحضرمـــوت))

جاء في ص ٨٥ من كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني طبعة الشيخ ابن بليهد : أن بلد حضرموت نسبت الى حضرموت بن حمير الأصغر ، غلب عليها اسم ساكنها . .

وهذا يغاير ما جاء في الاكليل ج ٢ ص ٣٦٩ من أن حضرموت المنسوبة اليه البلد هو حضرموت بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل الخ كما ذكرته آنفا وهو الصواب . . وليس لهذا التغاير أي اعتبار ما دمنا متأكدين بأن كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني بتحقيق الشيخ ابن بليهد لم يعتن بطبعه ولم يسلم من التصحيف والأخطاء المطبعية . .

ومن الأخطاء المطبعية ما جاء في ص ٨٩ ـــ ٩٠ من كتاب صفة جزيرة العرب عندما تعرض الهمداني لقبيلة بني جعدة ومنازل بطونها . . جاء في الصفحة المذكورة . . وبنو جعدة هؤلاء فيما يقال الى بعض بطون عين الأكبر . . هكذا وردت العبارة ، والصواب كما أراه : وهؤلاء فيما يقال منسوبون الى بعض بطون رعين الأكبر . . ورعين الأكبر كما هو معروف من قبائل حمير الأكبر . .

وحمير الأصغر واسمه زرعة أخ لحضرموت بن سبأ الأصغر ، وممن ينتسب اليه من قبائل بلد حضرموت : قبيلة سيبان ـــ بفتح السين المهملة ثم ياء ساكنة ثم بـــاء على وزن شيبان ولا تزال هذه القبيلة محتفظة بمنازلها من قديم الزمان حتى عصرنا الحاضر ، وتنسب الى سيبان بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد ابن سدد بن زرعة وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد الجمهور على وزن سموأل ـــ بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل

بن الغوث بن جيدان ــ بالجيم ــ بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر . . وهذا هو نسب سيبان الصحيح ولا يلتفت الى سواه . . وممن ينتمي الى سيبان آل بقشان وآل بانخر وغيرهم . . واليها ينسب العالم الجليل يحيى بن أبي عمرو السيباني الرملي ، روى عنه الأوزاعي وابن المبارك وكان ثقة مات سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة . .

هذا ما أردت توضيحه في هذه العجالة ، واعتبر نفسي مقصرا بواجب العناية لو لم أكتبها تلك العناية التي التزمت بها مجلة العرب الغراء في أبحاثها ومقالاتها واذا شاء الله وتنفس بي الوقت فسوف أوضح الكثير من أنساب قبائل الجنوب ذلك الجزء العزيز من جزيرتنا العظيمة الحبيبة .



١ ــ البديع عند العــرب ••

لقــد علمت وما الاسراف من خلقــي — أن الذي هو رزقي سوف يأتينــي
أسعــى اليــه فيعييني ــ تطلبــه — وأن جلســت أتانــي ــ لا يعنيــني

هذان البيتان هما رواية واضعي الأسئلة الثقافية لجريدة المدينة الغراء وهذه الرواية وأن وردت في بعض المراجع الأدبية غير أنها رواية لا يعتمد عليها ولا يعول ، ولولا أن الوقت المحدد للاجابة على الأسئلة لم ينته بعد لذكرت جميع المصادر التي أشارت الى هذين البيتين بمختلف رواياتها . . والرواية الصحيحة للبيت الأول هكذا : ــ

لقد علمت وما الاشراف . . الخ . بالشين المعجمة .

وأشرف ــ بالشين المعجمة ــ على الشيء : ــ حرص عليه وتهالك ، ومنه الاشراف وهو الصواب . . أما الاسراف ــ بالسين المهملة ــ فلا معنى له هنا ، لأن الشاعر ينفي عن نفسه الحرص والتهالك على الشيء وهما لا يقدمان ولا يؤخران رزقا ما دامت الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى . .

قال أبو العتاهية يعير سلما الخاسر : ــ

تعالــى اللــه يا سلــم بن عمــرو — أذل الحــرص أعنــاق الرجـــال

وقد ذكر صاحب « لسان العرب » البيت في مادة ــ شرف ــ بالشين المعجمة ورواه هكذا : ــ

لقد علمت وما الاشراف من طمعــي — أن الذي هو رزقي سوف يأتيــني

وقد ورد البيت في اللسان غفلا لم يعز الى أحد فليطمئن الزملاء بأني لم أفش سرا . . وانظر ص ٧٣ ج ١١ من « اللسان » طبعة بولاق سنة ١٣٠٠ هـ.

أما البيت الثاني فاني أفضل روايته هكذا : ــ

أسعى لــه فيعنيــــني تطلبـــه — وأن قعــدت أتانــي لا يعنيـــني

فما أجمل الطباق بين الأفعال (سعى) و (قعد) و (يعنيني) و (لا يعنيني) لقد جمع الشاعر الطباق بنوعيه في البيت الواحد . . طباق الايجاب : ــ (سعى) و (قعد). وطباق السلب : ــ (يعنيني) و (لا يعنيني) . . وأرسله على السجية والطبع من غير تكلف ولا تصنع . .

فكان لنا من البيت دليل مادي بأن البديع يرجع الى أصول عربية خالصة كما قرر الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » . فقال : — « البديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان » ص ٣٤٧ ج ٣ من البيان والتبيين الطبعة الثالثة بتحقيق السندوبي .

فليس صحيحا من أن المحسنات اللفظية ابتكرها موالي العرب الشعراء ممن ترجع أنسابهم الى أصول فارسية كبشار ومسلم بن الوليد وأبي نواس . .

فقد عرف شعراء الجاهلية المحسنات اللفظية ولا سيما الطباق . . فقال الحصين بن حمام — على وزن سعال — :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد   لنفسي حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا   ولكن على أقدامنا تقطر الدما
نفلق رأسا من رجال — أعزة   علينا وهم كانوا أعق وأظلما

والشاهد في البيت الأول . كما عرف الطباق شعراء صدر الاسلام . . قال أبو صخرة الهذلي : —

أما والذي أبكى وأضحك والذي   أمات وأحيا والذي أمره الأمر

وانظر شرح الحماسة للتبريزي ص ١٩٣ ج ١ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . و « شرح أشعار الهذليين للسكري » تحقيق عبد الستار فراج ص ٩٥٧ ج ٢ .

٢ — « البافي لا النامي »

قرأت منذ أيام الجزء الثالث من كتاب « يتيمة الدهر » للثعالبي طبعة مكتبة الحسين التجارية الذي حققه الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد . . واستلفت نظري اسم علم من أعلامها وهو أبو محمد عبد الله بن محمد .

الذي جاء في صفحة ١٢٢ من الجزء الثالث من « يتيمة الدهر » الطبعة الأولى سنة ١٣٦٦ هـ. باسم النامي — هكذا — بنون وألف وميم فياء النسبة .

وهذا وهم من الناسخ أو المحقق . . والصواب : البافي بالباء الموحدة والألف والفاء ثم ياء النسبة .

وباف كما جاء في « معجم البلدان » لياقوت الحموي ج ٢ ص ٤٣ طبعة الخانجي ، من قرى خوارزم . . ويقول ابن الأثير في كتابه « اللباب » ج ١ ص ٩٠ طبعة القدسي سنة ١٣٥٧ هـ. ما نصه : — البافي — وباف احدى قرى خوارزم ، منها أبو محمد عبد الله بن محمد البخاري البافي ، سكن بغداد وكان من أفقه أهل زمانه على مذهب

الشافعي ، له معرفة تامة بالأدب وله شعر جيد توفي في المحرم سنة ٣٩٨ هـ.

والباقي هذا كان يقول الشعر ارتجالا ويرسله على السجية . . جاءه غلام وبيده رقعة دفعها اليه وفيها : ــ

عاشــق خاطـــر حـــــتى م | استلــب المعشـــوق قبلـــــه
أفتنـــا لا زلــــت تفـــــتى | هل يبيــح الشــرع ــ قتلـــه

فقرأها مبتسما وردها اليه بعد أن كتب فيها :

أيهـــا الســـائل عمــــــا | لا يبيــح الشــرع فعلــــه
قبلـــة العـــاشق للمعشـــوق | لا تـــــوجـــب قتلــــه

وانظر كتاب « الاعلام » للزركلي ج ٤ ٢٦٤ و ٢٦٥ الطبعة الثانية . . .

٣ ــ عمرو بن براق وعمرو بن براقة

جاء في كتاب « الجديد في النصوص الأدبية » للسنة الأولى الثانوية تأليف السيد الاستاذ محسن أحمد باروم وزملائه ص (٣٥) قصيدة عمرو بن براقة منسوبة لعمرو بن براق التي مطلعها :

تقـــول سليمى لا تعــــرض لتلفـــة | وليلك عـــن ليل الصـــعاليك نائـــم

ومنها هذا البيت المشهور :

متى تجمع القلـــب الذكي وصارمـــا | وأنفـــا حميـــا تجتنبك المظالـــــم

وكدت أنسب هذا الخطأ الى سبق قلم المؤلفين لولا أن أكد مؤلفو الكتاب صحة الاسم بعنوان القصيدة « عمرو بن براق يفخر بصعلكته » . .

وحقا لقد عرف عمرو بن براق واشتهر بين صعاليك العرب المعدودين أمثال الشنفري وتأبط شرا والسليك بن السلكة . .

يقول الآمدي في كتابه « المؤتلف والمختلف » ص ٦٧ طبعة القدسي بمصـــر سنة ١٣٥٤ هـ. : ــ « عمرو بن براق الثمالي من ثمالة بن لهب . كان حليفا في هذيل وأحد من يغزو راجلا ويفوت الخيل اذا طلبته » .

وعمرو بن براق قد أشاد بصعلكته تأبط شرا في قصيدته التي افتتح بها المفضل الضبى مختاراته وأولها : ــ

يا عيـــد ما لك مـــن شوق وابـــراق | ومـــر طيف على الأهـــوال طـــراق

الى أن يقول منوها باسم صاحبه ابن براق :

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهموا   بالعيكتين لدى معدى ابن براق

انظر « المفضليات » صفحة ٢٧ تحقيق وشرح الاستاذين أحمد محمد شاكر ومحمد عبد السلام هارون طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٤ م. . واقرأ القصة التي أوحت الى تأبط شرا بالقصيدة في كتاب « بلوغ الأرب » للالوسي ج ٢ ص ١٤٣ طبعة دار الكتاب العربي بمصر « والأغاني » ج ١٨ ص ٢١١ طبعة السباسي .

أما صاحب القصيدة : ـ تقول سليمى لا تعرض لتلفة . . ألخ فهو عمرو بن براقة لا عمرو بن براق .

وعمرو بن براقة ، واسمه بالكامل : ـ عمرو بن منبه وقيل الحارث بن شهر بن نهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية النهمي الهمداني ـ بالهاء والميم الساكنتين ثم دال مهملة ، من قبيلة همدان اليمانية ، وبراقة اسم أمه ، شاعر همدان قبيل الاسلام وسيد من ساداتها . صاحب نعم وشاء وخيل ، لم يعرف بالصعلكة والفتوة .

يقول القالي في كتابه « الأمالي » ج ٢ ص ١١٨ طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٣٧٣ هـ. : ـ « أغار رجل من مراد يقال له حريم بن نعمان على ابل عمرو بن براقة الهمداني وخيل له فذهب بها . . الى أن يقول : ـ فأغار عمرو فاستاق كل شيء . فقال عمرو : ـ (تقول سليمى لا تعرض لتلفة) وذكر القصيدة كاملة ، وجاء في « الاشتقاق » لابن دريد ص ٤٣٣ طبعة الخانجي سنة ١٣٧٨ هـ. أن عمرو بن براقة النهمي الهمداني صاحب البيت :

وذكر الآمدي في « المؤتلف والمختلف » ص ٦٧ طبعة القدسي بمصر سنة ١٣٥٤ هـ. أبياتا من القصيدة ونسبها الى عمروا بن براقة الهمداني . .

غير أنه يتضح من نص القصيدة وترتيب أبياتها في كتاب « الجديد في النصوص الأدبية » للسنة الاولى الثانوية أن مؤلفي الكتاب قد اعتمدوا على ما جاء في المجلد الحادي والعشرين من كتاب « الأغاني » ص ٢٦٤ طبعة دار مكتبة الحياة ببيروت سنة ١٩٥٧ م. وقد شك في اسمه « الأصبهاني » أهو عمرو بن براق أو عمرو بن براقة. . والخلاف في براق أو براقة عند صاحب « الأغاني » لم يلتفت اليه الزركلي في كتابه « الأعلام » ج ٥ ص ٢٤٢ الطبعة الثانية . . لأن تراجم الجزء الحادي والعشرين من كتاب « الأغاني » لم تعرف الا بوساطة المستشرق الامريكي « رودلف برونو » الذي قام بنشرها بعد جمعها وطبعها في مجلد بمدينة ليدن سنة ١٣٠٦ هـ. . والرأي السائد بين طبقات الباحثين والمحققين أن التراجم التي ضمها هذا المجلد ليست من كتاب الأغاني.

هذه ملاحظة عابرة ، لا أريد من نشرها غمط مؤلفي الكتاب حقهم بل لأنخرط في سلكهم وأنضوي الى جملتهم .

دراسة وتحليل لكتاب زهر الأدب

زهر الأدب في معرفة أنساب مفاخر العرب ، كتاب من تأليف فضيلة الشيخ حمد ابراهيم الحقيل رئيس محكمة الخرج ، أهدانيه فضيلته من زمن لأقول فيه رايي . .

والشيخ حمد صديق عزيز أكن له الود والاحترام . . وكتابه القيم ماذا يستطيع أن يقول فيه مثلي ؟ ؟

قد يكون الشيخ حمد — سامحه الله — قد قرأ لي في صحفنا المحلية بعض المقالات التي لا تخرج عن تصحيح خطأ أو تعيين صواب ، فظن في العيبة دغفلا بن حنظلة أو أبا اليقظان سحيما بن حفص أو ابن السائب الكلبي أو الحسن الهمداني ، أو مؤرجا السدوسي ونسى الشيخ أن في العيبة ظالعا لم يبلغ شأو الضليع . .

ولرغبة صديقي فضيلة الشيخ حمد — ولعلي أكون عند حسن ظنه — قرأت كتابه قراءة الفاحص الناقد فساءتني أخطاؤه المطبعية تلك الأخطاء التي شوهت الكتاب وخرجت به عن الفائدة المرجوة .

واذا علم القارىء أن الكتاب قد طبع في مطبعة المدني بمصر ولم يتسن لفضيلته الاشراف عليه ولم يكن هناك من يلم بمعرفة أصول القبائل العربية المعاصرة علم بطبيعة الحال أن هذه الأخطاء ناتجة عن جهل القائمين على المطبعة بما تضمنه الكتاب .

وهذا لا يعني أن كل الأخطاء مطبعية بل هناك أخطاء تقع تبعتها على المراجع التي عول عليها المؤلف ومنها : كتاب « في قلب جزيرة العرب » للمرحوم فؤاد حمزة .

وكتاب زهر الأدب في معرفة أنساب ومفاخر العرب يقع في ٢٥٩ صفحة من القطع المتوسط ويحتوى على أبواب وفصول من أهمها : —

١ — أنواع العرب . ٢ — أصل العرب . ٣ — أنساب مضر . ٤ — أنساب اليمن . ٥ — ذكر القبائل الموجودة في الجزيرة العربية وما ينتمي اليها من الاشراف الحاضرة . ٦ — مفاخر العرب . .

ومقالي هذا أخص به ما كتبه المؤلف عن القبائل العربية الموجودة في الجزيرة وقد كتب عنها المؤلف بابا طويلا استغرق جل صفحات الكتاب .

سأتناول هذا الفصل مصححا ما جاء فيه من أخطاء مطبعية وعلمية ولعلي بهـــذا العمل أخدم الكتاب .

جاء في صفحة ٤٧ عن قبيلة عتيبة ما يلي : ــ عشيرة القسمة ــ بالسين ــ والصحيح : القثمة ــ وفي ص ٤٨ : آل عجر والصحيح آل عجرة . والعبابيد والصحيح : العبابيد والركيبات والصحيح : الركيبات . عشيرة الشابين والصحيح : الشيابين . والثعابين والصحيح الثعالين . والمقطعة والصحيح : المقطة .

وفي ص ٤٩ عشيرة الخنافرة من المقطة من عتيبة ، ومنها : القزابلة والصحيح القزايلة . وفي صفحة ٤٩ أيضا الروسان من عتيبة ومنها : الخرفان ــ جمع خروف ــ والصحيح الحزقان ، بالحاء وبعدها زاي ثم قاف . والمجاحصة والصحيح : المقاحصة واليها ينتسب شاعرنا الكبير الاستاذ حسين سرحان .

وفي ص ٥٠ فخذ الطلحية من الروقة والصحيح : الطليحة .

وفي ص ٥١ فخذ المزاحمة من الروقة ومنه : العبيات : ــ بالعين ــ والصحيح الغبيات ــ بالغين ــ المعجمة ــ والزراريق والصحيح : المرازيق . والغنائم والصحيح الفوانـــــم .

وفي ص ٥٢ مسروح من حرب وفيه : الكلاهة والصحيح : الكلخة ، وولد مرير والصحيح : ولد دهيم . والمدارين والصحيح : البدارين .

وفي ص ٥٣ ومن حرب الوهوب : الشبرازين والصحيح : الشراذين .

ومن حرب الفردة : النومان والصحيح التومان .

ومن حرب بني سالم : الرحالة والصحيح : الرحيلي ، والزينات في شرق الحجاز والصحيح : مزينة ، والجماعلة والصحيح : الجملة .

وفي ص ٥٤ ومن حرب بني عمر : بنو محمد شمالي رابغ والصحيح : ان بـــني محمد من بني سالم وليسوا من بني عمر .

ومن بني عمر : عبيدة في جبل بثرا وبشر في وادي غاطمة والصحيح : أن عبيدة وبشرا من قحطان وان نزلوا منازل حرب .

ومن بني عمر : المعبد والصحيح : المعابدة وهم قرب مكة وبهم سمي حي المعابدة والبلدية بين الفرع ورابغ والصحيح : البلادية . والشطارة والصحيح : الشطرة .

وفي ص ٥٥ ومن قبيلة حرب : مسروح ومنهم الجعاثهة والصحيح : الجعاثنة .

وفي ص ٨٤ وبنو ذبيان من غامد والصحيح : بنو ظبيان .

وفي ص ٨٥ الفرزعنة والصحيح : الفرزعة . وبنو عمير والصحيح : بنو عمر .

وفي ص ٩١ طويرق من ثقيف ومنهم : التراكبة والصحيح : التراكية . والطفرين والصحيح : الظفارين ، والتمور والصحيح : النمور .

وفي ص ٩٢ وفي الهدا من النمور اللبني والصحيح : البني .

وفي ص ٩٣ ومن ثمالة : بنو سالم ومنهم : العباشة والصحيح : العياشة والمنحف والصحيح المنجف .

ومن عوف سكان ليه : عشيرة العنم والصحيح : الغنم بضم الغين وتشديد النون المفتوحة .

وفي ص ٩٤ بنو سفيان من ثقيف ومنهم : آل عيد والصحيح : ال عبيد ، وآل عسى والصحيح : ال عيسى ، وال عيشة والصحيح : آل عائشة .

وفي ٩٤ أيضا قريش من ثقيف وهذا الاسم ليس من الأشراف القرشيين بل هو توارد في الاسمين .

وهذا خطأ وقع فيه من قبل المرحوم فؤاد خمزة في كتابه : في قلب جزيرة العرب ، وأقول : أن قريشا التي تسكن الطائف ليست من ثقيف بل هي من قريش قوم الرسول عليه الصلاة والسلام وأفراد هذه القبيلة لا يزالون يعتزون بهذا الانتماء والناس أمناء على أنسابهم .

والطائف وان كانت سكنى ثقيف ، يسكنها من قديم الزمن بطون من قريش سادات العرب .

ودليلنا ما قال عرام بن الاصبغ السلمي في كتابه « أسماء جبال تهامة وسكانها » ص ٤٢٠ من المجلد الثاني من نوادر المخطوطات تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون « والطائف ذات مزارع ونخيل وموز وأعناب وسائر الفواكه وجل أهل الطائف ثقيف وحمير وقوم من قريش وغوث من اليمن . »

وعرام هو الذي ينقل عن كتابه ياقوت الحموي في معجم البلدان .

وفي ص ٩٥ ومن قريش الطائف الهباقين والصحيح : الهيافين ، والغشار والصحيح : الغشامرة ، والخرته والصحيح : الحرثه .

ومن ثقيف سكان الترعة : بنو محمد المغدة والصحيح : بنو محمد والمفدة والحمدة في المليار والصحيح : في المليساء والغسلى والصحيح : العسيلي .

وفي ص ٩٥ — ٩٦ وينسب الى ثقيف اليمن بنو ذبيان ومنهم بريدى وذبيارني والصحيح : ذبياني .

واخبرني الشيخ علي بن رابع الثقفي شيخ قرية قها أن بني ذبيان هؤلاء ليسوا من ثقيف بل هم من ذبيان بن بغيض من غطفان من قيس عيلان من مضر .

غير أني أرجح أنهم من ذبيان بن ثعلبة بطن من الأزد سكان السراة .

وفي ص ١٠٥ الورزان من قبيلة سبيع سكان رنية والصحيح : الوزران .

وفي ص ١٠٤ المشاعلة من سبيع رنيه والصحيح : المشاعبة . .

وفي ص ١٠٧ و١٠٨ ومن قبيلة الشلاوة : شعيث والصحيح : شعيب والعصارين والصحيح : العضاوين ، والطبقة والصحيح الطهفة ، والحنايت والصحيح : الجثايث .

وفي ص ١١٠ ومن قبيلة هذيل : الحساستة والصحيح : الحساسنة ، والكياكبة والصحيح الكباكبة ، والمجاريس والصحيح : المجاريش والمرازيو والصحيح : المرازيق ، والحبيبة والصحيح : الجيسة .

وفي ص ١١١ ومن هذيل : الراونة والصحيح : السراونة ، والظهران والصحيح : الظهوان ــ بالواو بعد الهاء ــ والعيدة والصحيح : العبدة . .

وفي ص ١١٢ ومن آل مناع من هذيل يتفرع آل زدان والصحيح : ال زيدان ومن الفرع ال شاري والصحيح : ال ساري .

وفي ص ١١٣ ومن السوالمة يتفرع آل بزرة والصحيح آل بزدة وال فرج والصحيح: ال فــــــرح . .

وفي ص ١١٥ ومن دوس من زهران بنو مهب والصحيح : بنو منهب ومن بني عمر من زهران : بنو حرب والصحيح : بنو حرير وقريش جماعة السين والصحيح جماعة الحسين ، وبنو بشر والصحيح بنو بشير ، وأحمد بن عصيدات والصحيح : ابــن عصيـــــدان .

وفي ص ١١٦ ومن سليم زهران : الجيز والصحيح : الجبر .

ومن الأحلاف من زهران : بنو خريص والصحيح : بنو خريض . .

وفي ص ١١٧ ومن قبيلة جهينة عروة ومنها : الوينان والصحيح : البوينات والملادية والصحيح : اللبدان .

وفي ص ١٢٣ ومن البطنين من بني سعد بن هوازن ــ عتيبة ــ الحذيج والصحيح الخديج ، والسلافة والصحيح : السلاقة والودانين والصحيح : الوذانين. والحليقات والصحيح : الحليفات وحذيد والصحيح خديد . .

ومن اللصة : المقانشة والصحيح : المقافشة ، والشقالمة والصحيح : الشتالمة والعذران والصحيح : الغدران . .

وفي ص ١٢٤ ومن بلي : السهامة والصحيح : السحمة والعراضات والصحيح العوضات ، والكوببين والصحيح الكويين ، والحروف والصحيح الهروف .

وفي ص ١٣٥ ــ ١٣٦ « ثم وضع ابن غريسة رسالة في تفضيل العجم على العرب وكل هذه الكتب ــ ويعني كتب الشعوبية ولله الحمد بادت ولم يبق الا بعض حكايات في كتب العرب ودواوين من التاريخ » .

وأقول : ــ أبو عامر بن غرسيه لا غريسة ترجم له علي بن سعيد صاحب المغرب المتوفي سنة ٦٨٥ هـ. وغرسيه تعريب جارسيا ومعناه في الاسبانية ذو الحيلة أو الثعلب أو الماكر وانظر ص ٢٣١ من المجلد الاول من نوادر المخطوطات تحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هـــارون . .

ورسالة ابن غرسيه هذه مطبوعة بتحقيق الاستاذ هارون وهي رسالة خاطب أبو عامر بن غرسيه أبا جعفر بن الخراز يفضل فيها العجم على العرب وقد طبع أيضا معها رسائل في الرد عليها لأبي يحيى بن مسعدة وأبي جعفر بن الدودين البلنسي وأبـــي الطيب بن من الله القروي . .

وأخيرا هذا ما استطعت أن أصححه فيما قرأته من الكتاب وأرجو أن أكون قــد وفقت الى الصواب . .

والشكر الجزيل أرفعه لمؤلفه فضيلة الشيخ حمد الذي أتاح لي الفرصة لأشاركه في مجهود هذا الكتاب القيم . .



١ ـ هل جنى الأدب على الادباء ؟ !

قال لي صاحبي : حدثنا التاريخ أن الأدب في العصور الماضية قد جر على الأدباء المصائب والويلات ولم ينج من ويلاته الا القليلون ممن عاشوا في عزلة عما يدور حولهم في قصور الخلفاء من متع الحياة التي يسعى اليها أديب تلك العصور سعيا حثيثا حتى اذا ما نالها انغمس فيها لينسى واقعه المرير المفعم بالبؤس وألوان الشقاء والحرمان .

وكان كل منى الأديب في تلك العصور منحصرة في أن يحظى بجائزة خليفة أو تقدير أمير أو منادمة وزير .

وكان أولئك الأدباء قلقين لا يستقر بهم حال ولا يهدأ لهم بال ، سرعان ما يقلبون ظهر المجن لمن أحسن اليهم وأنعم عليهم ولو كان المحسن الخليفة نفسه ، مما جعل حياتهم محفوفة بالخطر والمخاوف .

فلا عجب أن جنى الأدب على الكثيرين من أدباء تلك العصور ، فمنهم من اغتيل ومنهم من شرد وطورد ومنهم من عذب وقطعت أوصاله اربا اربا ومنهم من ألقي في غيابات السجن حتى قضى نحبه فيه .

حدثنا التاريخ أن عبد الله بن المقفع الكاتب العربي الكبير قد قتله سفيان بن معاوية المهلبي والي البصرة من قبل الخليفة المنصور شر قتلة لأن المنصور العباسي قد وجد عليه حين تشدد فيما كتبه أمانا لعمه عبد الله حيث كتب ابن المقفع : « ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته » .

وحدثنا التاريخ أن بشار بن برد الشاعر المعروف قد مات تحت سياط شرطة الخليفة المهدي لأنه القائل : ــ بنو أمية هبوا طال نومكمو . . . .

وحدثنا التاريخ أن العكوك قد أمر الخليفة المأمون باخراج لسانه من قفاه فمات لأنه لم يتورع من أن يجعل الخليفة يستعير المكارم من أبي دلف العجلي .

أما الشاعر دعبل بن علي الخزاعي فكان بذيء اللسان لم يسلم منه أحد ولكن لحسن حظه لم يصب بأذى حتى قال : « لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك » .

ألم تر يا صاحبي كيف جنى الأدب على عشاقه .

قلت له : ــ لا ولا .

ان هؤلاء الذين ذكرتهم في معرض حديثك هم الذين جنوا على الأدب فالأدب يا صاحبى فن ، والفنان الاصيل لا ينتجع بفنه لأنه لا يرضى أن تعبث به الأهواء والاغـــــراض .

الأدب يا صاحبي ــ شعرا كان أو نثرا ــ معنى جميل وتعبير أنيق وخيال مجنح وفكرة أصيلة وعاطفة حارة وانفعال وشعور وحقيقة وتصوير في صدق وأمانة .

الأدب يا صاحبي لا يخرج عن هذا ومتى خرج فقل هو : الترهات والخزعبلات في شتى الوانهــــــا .

واعلم يا صاحبي أن هناك أدباء لم تشأ تذكرهم عاشوا لفنهم فقط فعاشوا فـــي بلهنية العيش وماتوا في ستر من الله .

عاش العباس بن الأحنف لفنه كما عاش من بعده ديك الجن وأبو العلاء المعري وماتوا مخلصين لفنهم ــ يرحمهم الله ــ لم يجن عليهم أدبهم لأنهم لم يرضوا أن تعبث به الأهــــــواء .

فسلام على كل عباس وعلى كل ديك جن وعلى كل أبي علاء .

٢ ــ السرحان شاعر من نهــد

صديقنا الاستاذ الكبير حسين بن علي بن سرحان ينتمي الى « الروسان » وهم فخذ كبير في قبيلة عتيبة ، والروسان ينقسمون الى عشائر : ــ

١ ــ عيال عامر ، ومنها اللويبات وابن جامع .

٢ ــ المقاحصة ، ومنها : ذوو عجيرة والسراحين « عشيرة شاعرنا السرحان »

٣ ــ ذوي مجري .

٤ ــ الشهبه .

٥ ــ المراوحة .

وعتيبة أو « هوازن » كما تعرف به القبيلة قديما هم أبناء هوازن بن سليم بـــن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

هذا ما وصل اليه علمنا .

غير أنني أطلعت أخيرا على كتاب « المنتخب في ذكر قبائل العرب » تأليف عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري الطائي والكتاب قد أهداه الى الاستاذ الصديق ابراهيم الزيد ابن أخ المؤلف وطلب مني أن أكتب عنه .

وقد تناولت الكتاب وأنا أعتقد بأن أجد فيه ضالتي ــ والمعرفة ضالة القارىء والكتاب مطبوع على نفقة حاكم قطر قد أشرف على طبعه وصححه الاستاذ ابراهيم محمد الأصيل من علماء الأزهر وذيل الكتاب الشيخ محمد بن مانع بشيء عن قبيلة تميم التي ينتمي اليها آل مانع .

وقبل أن أخوض في الموضوع أحب أن أقول أن صديقنا الشيخ حمد الحقيل قاضي محكمة الخرج قد كتب في جريدة اليمامة ينتقد الكتاب وأذكر مما قاله : « ان المؤلف ــ بكسر اللام ــ رجل عامي » .

تناولت الكتاب بالقراءة الجادة ولي عليه نقد طويل متى فرغت من قراءته ان شاء اللـــــــه .

ولكن استلفت نظري قول المؤلف رحمه الله : « وممن ينسب الى ــ نهد ــ الروسان في برقاء عتيبة وهم أفخاذ » انظر ص ٤٣ من الكتاب .

والذي أعرفه وغيري عن « الروسان » هو ما قلته آنفا ، وزيادة في الايضاح أقول : أن الروسان من اللصه من قبيلة بني سعد التي منها حليمة السعدية ظئر الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤلف رحمه الله عندما ساق كلامه عن الروسان لــم يشر الى المراجع التاريخية التي اعتمد عليها وعول . ولو فعل لاعتبرنا كلامه عين الصـــــواب .

وليته ساق الأدلة لكان السرحان اليوم شاعرا من بني « نهد » بن زيد بن قضاعة الحميرية القحطانية ، تفتخر به حضرموت موطن : المقاريم وآل ثابت وآل بقري وآل منيف وغيرهم من أفخاذ قبيلة « نهد » التي لها مكانتها في عصرنا الحاضر بين عشائـــــر حضرمـــــوت .

وان كان هذا يسوء صديقنا السرحان لأن له رأيا في الحضارمة قد سمعته منه في مجلس خاص كان يضم : السرحان وابن عمه : مناحي بن عمر وأنا كما أذكر . ربما لو قاله علنا لدخل مع أدباء الحضارمة ورجالاتها في حرب كلامية قد لا تنتهي .

وما رأي الاستاذ حسين سرحان في نسب قبيلته الذي ساقه الشيخ المرحــوم عبد الرحمن بن زيد ، انني أود أن أسمع منه كلمة تضع النقط على الحروف قبل أن يسارع أخواننا الحضارمة وينصبوه شيخا عليهم وأنه لجدير « بالمشيخة » .

شخصية قلقة ٠٠ وكتــاب

يحلو لي أن أتجرد عن الماديات ولو بضع ساعات مع الروحانيات . والروحانيات تتجلى لي بصدق في حياة الصوفية وتتمثل في زهدهم وصبرهم وفقرهم تواضعهم وخوفهم وتقواهم واخلاصهم وتوكلهم ورضاهم وشكرهم وقناعتهم وجوعهم .

أتجرد عن الماديات لأفتش عن الحقيقة من دون أن أتخذ القواعد التي أرساهــا طيب الذكر (بيكون) في البحث والاستقراء .

فأجد الحقيقة بل الحقائق كلها فيما خلف لنا أولئك الصوفية وأعني بهم : مــن لم يستحدثوا البدع والخرافات . أجدها في كتبهم ورسائلهم التي تهدف الى ايجــاد الانسان الروحاني المؤمن .

تجردت عن الماديات أياما جميلة قضيتها مع : « التعرف لمذهب أهل التصوف » للامام الكلاباذي و « اللمع » للامام الطوسي و « احياء علوم الدين » للامام الغزالي و (الزهد) للامام أحمد بن حنبل و (طبقات الصوفية) للسلمي و (التصـــوف الاسلامي) للدكتور زكي مبارك .

وأنا ــ وان كان هذا لا يهم القارىء ــ مدمن قراءة ، أقرأ ولا أمل وأنقب بيــن دفات الكتب بلا كسل ، يستهويني الكتاب ، وأفضله على العيش والشراب والأهــل والأصحــــاب .

وقد يكون ادمان القراءة آفة ، اذا ما حالت القراءة بين المرء وراحته ، فــان للجسم علي وعليك حقا ، فهل ينال الجسم حقه من « مدمن القراءة » يوزع ساعاته بين العمل الذي يقتات منه وبين قراءته ، ولا يلذ له النوم الا بعد أن يمتع ناظريه بســود الصحائف .

أقول قد يكون ادمان القراءة آفة ، ترهق العين ويتكاءدها الجسم ، ولكــــن لا سبيل الى التفصي منها لمن تلمظ حلاوتها .

ولي في القراءة طريقة ــ ولكل شيخ طريقة ــ ! . . أقرأ الكتاب من البداية حتى النهاية فاذا فرغت منه بحثت عن كتاب آخر يمت الى الكتاب الأول بصلة البحث والموضوع ، واذا لم أجد نقبت في المظان عن كل ما له صلة بالكتاب الأول لأتمم بــــه الفائــــــدة .

ولنعد الى ما نحن بصدده . .

جعل الله في أمة محمد صفوة أخيارا ، ألزمهم كلمة التقوى ، فصفت سرائرهم وزكت أفهامهم وفهموا عن الله وساروا الى الله وأعرضوا عما سوى الله .

فهم روحانيون ، ملوك تحت أطمار ، لو أقسموا على الله لأبرهم ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا .

هؤلاء هم الصوفية الذين أعنيهم من أمثال : مالك بن دنيار ، وابراهيم ابن أدهم والفضيل بن عياض ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينه ، والجنيد ، ورابعة العدوية وغيرهم كثيرون . هؤلاء بعض رجال التصوف الاسلامي ممن لم تشب حياتهم شائبة ولم يتصفوا بين الناس الا بالزهد والتعبد والتقوى والورع ، ولم يختلف المؤرخون في حقيقة تصوفهم .

بيد أن هناك شخصية عجيبة قرأت عنها فيما قرأت ، وأحب أن أعرض في كلمتي هذه جانبا من حياتها . انها شخصية الفيلسوف : « الحسين بن منصور الحلاج » الذي اختلف فيه المؤرخون ، فهو تارة من رجال الزهد والعبادة وتارة من رجال الزندقة والالحاد ، ولهذا الاختلاف العجيب اهتم به المستشرقون فكتبوا عنه رسائل وكتبا تكلموا فيها كثيرا .

ومعاصروا الحلاج كما يقول المؤرخون ، فئتان : فئة جرحته وطعنته وقالت عنه : « محتال » يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعي كل علم ، جسور على السلاطين مرتكب للعظائم ، يروم أقلاب الدول ويقول بالحلول .

وعلى رأس هذه الفئة السلف الصالح من رجال السنة ، فهي اذن فئة لا يتطرق الشك الى حكمها .

وفئة قدسته وتحدثت عن نفحاته وعجائبه وكراماته ، وعلى رأسها الاتحادية الحلولية ممن ينادون بوحدة الوجود ، فهي اذن فئة خاسرة لا يؤبه لقولها وحكمها .

وأعجب ما جاء في دفاع هذه الفئة عن « الحلاج » قول محي الدين بن عربي في كتابه : « الفتوحات المكية » في الباب الثالث والسبعين والاربعمائة : « كان الحلاج يدخل بيتا عنده يسميه « بيت العظمة » فكان اذا دخله ملأه كله بذاته بأعين الناظرين حتى أن بعض الناس ممن لا يعرف تطورات أحوال هذا المقام نسبه الى علم السيما لجهله بأحوال الفقراء في تطوراتهم ، ولما دخلوا عليه ليأخذوه كان في ذلك البيت فما قدر أحد أن يخرجه منه لأن الباب يضيق عنه فجاء الجنيد وقال له : سلم لله تعالى وأخرج لما اقتضاه وقدره فرجع الى حالته المعهودة فخرج فصلبوه ! ! » .

ونحن نعذر ابن عربي عندما يتحدث عن « بيت العظمة » لأن ابن عربي كبيرهم الذي علمهم السحر ولكن هل نعذر رجل الأزهر اذا ما آمن بهذه الخرافات والسخافات التي تتنافى والعقل والفهم والادراك ؟

انني أشك في أنه يوجد بين رجال الدين من يصدق أن الانسان يستطيع أن يملأ البيت بذاته الا اذا كان ذلك الانسان من نوع « البالونات » .

وحتى (البالون) مهما كبر حجمه فانه لا يمكن أن يملأ غرفة لا بيتا لأن له حدا لا يتعداه والا تعرض المسكين لانفجار شديد .

أقول هل نعذر رجل الأزهر اذا ما آمن بهذه الترهات والأباطيل ؟ ؟

لا . لا نعذره بل يجب علينا أن نسفه رأيه وعلمه .

ومن المصادفة أن يقع في يدي كتاب « الحلاج شهيد التصوف » — هكذا — للاستاذ طه عبد الباقي سرور من علماء الأزهر ، فقرأته ضمن ما قرأته من كتب ذكرتها آنفـا فعجبت لعالم أزهري يدافع عن حلولي اتحادي بحرارة ويلحقه بجرةقلم بزمرة الشهداء والأولياء والصالحين .

قرأت الكتاب من ألفه الى يائه لعلني أجد شيئا أجهله عن حياة الحلاج ، فلم أجد الا هراء وسفسطة وايمان المؤلف بالشعوذة والدجل والحلول .

وهنا أود أن أنقل رأي المؤلف في قتل الحلاج وصلبه لأنه أهم ما في الكتاب :

يقول المؤلف ما خلاصته : « ان الحلاج حينما قدم للمحاكمة كان ملف القضية يضم الاتهامات التالية : —

١ — الحلول .

٢ — الشعوذة والدجل .

٣ — مراسلته القرامطة .

٤ — اعتقاد أتباعه بألوهيته .

٥ — قوله : أنا الحق سبحاني وما في الجبة الا الله .

هذا ما تضمنه ملف القضية في الظاهر لتلبس القضية ثوب الدين ، وعجز هذا الثوب عن أن يستر المهزلة فجاء الثوب ممزقا مهلهلا » .

ويرى المؤلف أن الاتهامات الحقيقية التي أخفتها المحكمة عن الشعب لئلاتثور عواطفه هي :

١ ــ السياسة الخطيرة التي ينتهجها الحلاج تجاه حكم الخليفة المقتدر بالله العباسي .

٢ ــ زعامته الروحية لحركة ابن المعتز لأن الحلاج هو القائد الحقيقي لثورته .

٣ ــ عداوته لحامد بن العباس وزير المقتدر بالله الذي دبر محاكمته وجند الشهود ضده يوم محاكمته وأغرى الفقيه محمد بن داود الظاهري وحرضه باسم الخلافة فترأس المحاكمة وكان ابن داود من أعداء الحلاج وخصومه .

ونحن لا نعلم من أين استنتج المؤلف هذه الاتهامات ؟ ! وكتب التاريخ التي بين أيدينا لا تشير الى شيء من هذا ، وكل ما تشير اليه أن الحلاج قتل على الكفر والزندقة ، ما عدا كتب المستشرقين التي لا نعول عليها في قضية الحلاج . .

صحيح أن المقتدر بالله الخليفة الطفل كان يلهو في قصره بين عشرة آلاف خصي من الصقالبة والجواري والغلمان .

وصحيح أن والدته « شغب » قد أحالت ملك بني العباس العريض الى ألعوبة في يدها .

وصحيح أن حامد بن العباس وزير المقتدر بالله هو الذي قاد المحاكمة وجند الشهود لها .

لكن المحاكمة يا أخانا ــ المؤلف ــ ليست لأغراض سياسية كما تستنتج ولكنها محاكمة كانت فاصلة بين الكفر والايمان والدجل والكرامات والحق والباطل والتصوف والشطحات محاكمة أطاحت بأكبر حلولي اتحادي عرفه التاريخ ، كان ينادي ويقول : ــ

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني ــ أبصرته ... واذا أبصرته أبصرتنا

ويقول :

لي حبيب حبه وسط الحشا ... لو يشا يمشي على قلبي مشى
روحه روحي وروحي روحه ... ان يشا شئت وان شئت يشا

وقد حاول المؤلف ــ بعد أن أعيته الحيل ــ أن ينفى عن والحلاج تهمة الحلول بكلام لفقه ونسبه الى شيخ الاسلام ابن تيمية ، يقول المؤلف : يقول ابن تيمية ص ٦٤ من مجموعة الرسائل : « فهذه الحال ــ أي الفناء ــ تعتري كثيرا من أهل المحبة والارادة في جانب الحق فانه يغيب بمحبوبه عن حبه وعن نفسه وبموجوده عن وجوده ،

فلا يشعر حينئذ بالتمييز ولا بوجوده ، فقد يقول في هذه الحال : أنا الحق وسبحاني ونحو ذلك وهو سكران بوجد المحبة ! ! » .

ثم يعلق المؤلف على ما نسبه الى ابن تيمية فيقول : « ولم أجد في الدفاع عن الحلاج وتبرئته من تهمة الحلول والاتحاد أبلغ من كلام ابن تيمية خصم الصوفية الأكبر ! ! » .

وقاتل الله الهوى ، فان ابن تيمية رحمه الله لم يقل هذا ولم يصدر عنه في جميع كتبه ورسائله وابن تيمية يا شيخ ــ طه ــ لم يكن خصما للصوفية ولكنه خصم وعدو لدود لشطحات كثيرين منهم ، وليت شعري أين كانت أمانة النقل وصدق العلماء حينما نقل المؤلف هذا الكلام الذي ألمس من ورائه التدليس والتلفيق ؟

وبين يدي الان طبعتان من مجموعة الرسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية طبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٩ هـ. وطبعة المطبعة العامرة الشرفية بمصر سنة ١٣٢٣ هـ. لم أعثر فيهما على ما نقله المؤلف ونسبه الى شيخ الاسلام ، بل أنني أجد في مجموعة الرسائل ــ طبعة المطبعة العامرة ص ٩٧ ــ ٩٨ من رسالة الاحتجاج بالقدر ما نصه : « فمن الناس من يظن أن الحلاج قتل باجتهاد فقهي يخالف الحقيقة الذوقية وهذا ظن كثير من الناس وليس كذلك بل الذي قتل عليه انما هو الكفر وقتل باتفاق المسلمين الذين يشهدون أن محمدا رسول الله وكذا علماؤهم وعبادهم وفقهاؤهم وفقراؤهم وصوفيتهم » .

اننا أعرف من المؤلف بشيخ الاسلام ابن تيمية وكلامه وأقواله ولسنا من السذاجة بمكان بحيث نتقبل منه كلاما خطيرا ولا نناقشه الحساب العسير .

ان الحلاج مهما دافع عنه المؤلف ونصب نفسه محاميا له ، وأضفى على شخصيته هالة من نور فانه باجماع العلماء حلولي قتل على الكفر .

وكان أجدى بالمؤلف أن يسخر قلمه في كتابة ما ينفع القراء ، وينزهه عن تسطير ترهات وسفسطة لا يتقبلها كل ذي عقل سليم .

١ ـ عبث المحققين والناشرين

كثيرا ما أقف عند أبيات من الشعر تعجبني وتطربني وأهتز لها وتتعلق هذه الأبيات بالذاكرة وتكون منسوبة لشاعر من الشعراء . .

ويمر زمن فاذا تلك الأبيات التي استهوتني لرقتها وعذوبتها وجودتها أجدها منسوبة لشاعر غير صاحبي الذي حفظتها له ، فيلتبس علي الأمر وأستنجد بالمظان لعلها تسعفني بالحقيقة ، وبعد البحث والاستقراء أجد أن الناشرين والمحققين ـ عفا الله عنهم ـ لا يهمهم توخي الدقة في النشر والتحقيق بقدر ما يهمهم أن يجدوا للكتاب سوقا نافقة . فالكسب مطلبهم ومأربهم ولو كان على حساب القراء وطالبي العلم والمعرفة .

واليك نموذجا مما وعته الذاكرة ومما تجمع في اضبارتي لتقف معي أيها القارىء على عبث المحققين والناشرين الذين لا يحترمون شعور القارىء : ـ

١ ـ في كتاب المنتخب من أدب العرب للاساتذة أحمد الاسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري ، الجزء الأول ص ٦٥ طبعة دار المعارف بمصر قصيدة منسوبة الى الشاعر المصري علي أبي النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ. ومطلعها :

رسالة من كلف عميد ... حياته في قبضة الصدود
بلغه الشوق مدى المجهود ... ما فوق ما يلقاه من مزيد

الخ . . والقصيدة هذه موجودة في كتاب (يتيمة الدهر) للثعالبي ، الجزء الأول ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ طبعة المكتبة التجارية ، ومنسوبة الى الشاعر أبى محمد الحسن بن علي التنيسي من شعراء القرن الرابع من الهجرة .

٢ ـ في كتاب المنتخب من أدب العرب أيضا ، الجزء الثالث ص ٧٨ أبيات منسوبة الى الشاعر علي بن الجهم ومطلعها : ـ

لأكتمنن الذي في القلب من حرق ... حتى أموت ولم يعلم به الناس

الخ . . والأبيات هذه ليست لعلي بن الجهم بل هي للشاعرة العباسية فضل . .

وانظر كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهابي ، الجزء العاشر ص ٢١٤ طبعة دار الكتب . . وزيادة في الايضاح نقول : لا توجد هذه الأبيات في ديوان علي بن الجهم طبعة المجمع العلمي بدمشق بتحقيق الاستاذ خليل مردم . .

٣ — في ديوان عبد الله بن المعتز وردت هذه الأبيات منسوبة اليه : —

فاشرب على زهـــر الرياض يشوبـــه ... زهر الخدود وزهـــرة الصهبـــاء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الشـــ ... وق الذي قـــد ضـــل في الأحشـــاء
تخفى الزجاجـــة لونهـــا فكأنهـــا ... في الكف قائمـــة بغـــير انـــاء

انظر ديوان ابن المعتز ص ١٧ طبعة صادر بيروت سنة ١٣٨١ هـ. ص ٢٠٧ طبعة الاقبال ببيروت سنة ١٣٣٢ هـ.

والأبيات للشاعر البحتري وليست لابن المعتز وهي من قصيدة وردت في ديوانه أي ديوان البحتري وفي مختارات البارودي ص ٤٣ الجزء الرابع طبعة سنة ١٣٢٩ هـ.

وذكر البارودي في مختاراته أن البيت :

تخفى الزجاجـــة لونهـــا فكأنهـــا ... في الكف قائمـــة بغـــير انـــاء

مضمن من شعر أبي تمام ، وليس البيت لأبي تمام وان ورد في قصيدته التي مطلعها : —

قدك أتئب أربيت في الغلواء . . التي في ديوانه ص ٤ طبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٦١ هـ.

نقول ليس لأبي تمام هذا البيت وانما هو للبحتري من أصل قصيدته وليس مضمنا والبيت لم يرد في قصيدة أبي تمام : قدك اتئب . . المنشورة في ديوانه شرح الخطيب التبريزي وتحقيق محمد عبده عزام طبعة دار المعارف بمصر ، وهذه الطبعة هي التي يجب أن يعول عليها ، والتبريزي عالم حسبك من عالم . .

٤ — في ديوان ابن المعتز ص ٢٣٧ طبعة الاقبال ببيروت سنة ١٣٣٢ هـ. نجد هذا الموشح منسوبا اليه : —

أيهـــا الساقـــي اليـــك المشتكى ... قـــد دعوناك وأن لـــم تســـمع
ونـــديـــم همـــت فـــي غرتـــه
وبشـــرب الـــراح مـــن راحـــه
كلمـــا استيقـــظ مـــن سكرتـــه
جـــذب الـــزق اليـــه واتكـــى ... وســـقاني أربعـــا في أربـــع

الخ . . والموشح ليس لابن المعتز بل هو لشاعر أندلسي اسمه « أبو العلاء بن زهر » وانظر ص ٢٠٨ من كتاب « مختارات من الشعر الأندلسي » للمستشرق الدكتور أ . د . نيكل البوهيمي طبعة دار العلم للملايين سنة ١٩٤٩ م. . والموشحات كما هو معروف فن اختص به شعراء الأندلس وحدهم .

٥ ــ في « يتيمة الدهر » للثعالبي الجزء الأول ص ٧٠ طبعة المكتبة التجارية بمصر سنة ١٣٦٦ هـ. هذا البيت :

اذا صح منك الودفالكــل هـــين وكـ لالذي فوق التــراب تـــراب

منسوب لأبي فراس الحمداني وقد ورد البيت في قصيدته التي مطلعها :

أما لجميـــل عندكـــن ثـــواب ولا لمســـيء عندكـــن متـــاب

والبيت ليس لأبي فراس وان ورد في « يتيمة الدهر » لانه من خطأ الناسخين ويؤكد هذا خلو القصيدة المذكورة من البيت في ديوانه المطبوع في بيروت طبعة دار صادر سنة ١٣٧٩ هـ. رواية أبي عبد الله الحسن بن خالويه .

وكان يتحتم على محقق « اليتيمة » الاشارة الى هذا في الحاشية ص ٣٥ من الجزء الأول انه قد راجع المختار من شعر أبي فراس على نسخة ديوانه المطبوعة في بيروت سنة ١٩١٠ م.

والبيت وصحة روايته :

اذا نلت منك الود فالمال هـــين وكل الذي فـــوق التـــراب تـــراب

لأبي الطيب المتنبي من قصيدته التي مطلعها :

منى كـــن لـــي أن البياض خضـــاب فيخفـــى بتبييض القرون شـــباب

وانظر القصيدة في ص ١٨٨ من الجزء الأول من ديوان المتنبي شرح أبي البقاء العكبري طبعة الحلبي سنة ١٣٥٥ هـ.

هذه نموذجات من عبث المحققين ، أكتفي بهذا القدر منها على أن لي عودة ان شاء الله للتعقيب والتصحيح حول ما اقرؤه أداء للواجب وخدمة لأدبنا العربي الحي .

٢ ــ ثنـــاء الزيـــدان

الاستاذ الكبير محمد حسين زيدان كتب في جريدة البلاد العدد (١٧١٨) كلمة ثناء خصني بها . . والاستاذ الكبير الزيدان « وان لم يكتب له التعارف معي ولم يقرأ لي من قبل » كما يقول في كلمته ، أعرفه عن بعد واقرأ له كل ما يكتبه وهو أحد كتابنا الكبار الذين أعتز بهم . . ولقد كبرت مكانة الزيدان وعظمت عندي عندما وقف خطيبا مـــن سنوات مضت في حفل كبير أقيم بمدينة القاهرة ضم شخصيات بارزة من العالـــم العربي ــ وكنت حينذاك أزور القاهرة ــ فبز الخطباء والمتحدثين بحسن بيانه وفصاحة لسانه وكان لكلمته أثر في نفوس الحاضرين من رجال الصحافة الذين شادوا بذكره في

الصفحات الأولى من صحفهم وأثنوا عليه ، ولا زلت أحتفظ بقصاصات تلك الصحف في اضبارتي . . وثناء الزيدان علي ، ثناء الكبير على الصغير ، فيه مشحذة للتحصيل وحافز الى مواصلة السير في طريق وعرة محفوفة بالأشواك لا يجتازها الا كل ذي حظ عظيم . . وسأعد الاستاذ الكبير زيدان أنني سأرجع الى مجاميع الصحف والمجلات المصرية التي لها مكان بارز في مكتبتي وسأوافيه بالنتيجة في رسالة خاصة تكون بدء صلة طيبة بأستاذ أكن له التقدير والاجلال والاكبار .

٣ ـ المصـــــون في الأدب

المصون في الأدب ، كتاب نشرته دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ضمـــــن سلسلة التراث العربي ، وحققه الاستاذ عبد السلام محمد هارون . . والكتاب منسوب الى أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري المتوفي سنة ٣٨٢ هـ.

ويذكر محقق الكتاب أنه لم يجد من أشار اليه في ثبت كتب أبي أحمد العسكري ولكن الكتاب كما يقول المحقق بسنده وروايته وما فيه من النصوص التي استوعب معظمها تلميذه أبو هلال العسكري في ديوانه المعاني ينطق بأنه كتاب أبي أحمد . .

ولي على هذا الكلام استدراك . .

كتاب المصون في الادب قد يكون لأبي هلال العسكري لا لأبي أحمد العسكري لثلاثة أسباب :

الأول ـــ ان اسم الكتاب لم يأت ذكره في ثبت كتب أبي أحمد العسكري في جميع المراجع التي ترجمت له وأشارت الى أسماء كتبه ، وانظر ص ٣٦٤ الجزء الاول من وفيات الأعيان طبعة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٣٦٧ هـ. وص ٢٣٣ ج ٨ من معجم الأدباء طبعة دار المأمون وص ٢١١ ج ٢ من كتاب الاعلام للزركلي الطبعة الثانية وشذرات الذهب ٣ : ١٠٢ .

الثاني ـــ ان اسم أبي أحمد العسكري يلتبس باسم ابن اخته أبي هلال العسكري فاسم كل منهما : الحسن بن عبد الله العسكري ، فربما نسب كتاب « المصون » خطأً الى أبي أحمد العسكري . .

الثالث ـــ ذكر الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه « الاعلام » ٢ : ٢١١ الطبعة الثانية ، كتاب المصون في ثبت كتب أبي هلال العسكري صاحب الصناعتين وديوان المعاني وقد وضع الاستاذ الزركلي حرف (خ) ازاء اسم الكتاب ، ويراد بهذا الحرف كما يقول الاستاذ الزركلي في مقدمة الطبعة الأولى من كتابه « الاعلام » : « حرف (خ) مخطوط وأردت بالمخطوط ما لا يزال محفوظا في بعض الخزائن العامة أو الخاصة من

كتب السلف والخلف ، أما ما لم ألحقه بأحد هذين الحرفين (ط . خ) فيعد مفقودا أو مجهول المصير الى أن يظهر » . .

والاستاذ خير الدين الزركلي قد توخى الدقة في تأليف كتابه القيم « الاعلام » الذي يعد أول قاموس تراجم من نوعه .

فهل يتكرم الاستاذ الكبير خير الدين الزركلي ويدلي برأيه . . فان لديه فصل الخطـــــــاب .



بنو هــلال وبنو حــرب

وكتب أستاذنا الكبير محمد حسين زيدان في جريدة البلاد عدد ٢٤٦٠ الصادر في ٢ / ١٢ / ٨٦ هـ. مقالا تحدث فيه عن بني هلال وبني حرب وبني سليم . .

وأستاذنا الزيدان كما يعرف القراء يرجع الى علم ويخلد الى فهم ودراية ويأوي الى سداد وثقة . . والحديث عن أنساب القبائل العربية المعاصرة تتكاءده النفس ويتجشمه النسابون ولا يقوى منهم عليه الا الناهض الرجيل والضليع دون الظالع . . وهذه فرصة سنحت للكلام ، أتاحها لي أستاذنا الكبير الزيدان . . ولعلي أبلغ الشأو وأصل الى الغاية فيما أكتبه ، مع وعورة الطريق وبعد الأمد . . وأدعو الله أن يجنبني الخطأ في الكلام ويحميني من كدورة الفكر وخيس الخاطر وهجنة الطبع ويعصمني من الزلل عصمة الشيوخ . . ويجعلني عند حسن ظن الأساتيذ والقراء الفضلاء .

مــن هــم بنــو هــلال ؟ ؟

هلال بن عامر بن صعصعة . . من هوازن . . من عدنان . . جد جاهلي كان ينزل بنوه « تربة » و « الخرمة » و « رنية » وما حول تلك القرى من السهول والرعان والوديان . . كجبل « حضن » الشامخ وجبل « عن » بضم العين المهملة لا بكسرها كما ينطقه سكانه في زماننا . .

« وأسفل تربة لبني هلال » . .

وقال الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » ص ١١٩ تحقيق الشيخ ابن بليهد يرحمه الله : ـــ « بلد هلال الواديان رنية وأبيدة » . .

ورنية معروفة ، وأبيدة تعرف في زماننا ببيدة ، ينسج فيها « البيدي » عباءة معروفة يلبسها بدو الحجاز .

وقال عرام السلمي في كتابه « آنف الذكر » ص ٤٣٩ : ـــ « وعن جبل في جوفه مياه وأوشال . . قال الشاعر : ـــ

فقالــوا هلاليــون جئنا من أرضنــا ... الى حاجــة جبنا لها الليل مدرعــا
وقالــوا خرجنا من « القفا » وجنوبه ... و « عن » فهم القلب أن يتصدعــا

والقفا جبل لبني هلال حذاء عن . . »

ومن منازلهم هذه سار بنو هلال الى مصر ومنها الى افريقيا . . وبقيت منهم قلة ، فضلت البقاء في منازلها ولا أعرف بالضبط متى كانت هجرتهم .

وقد اهتم المؤرخ الكبير ابن خلدون الحضرمي ببني هلال وسجل أخبارهم ودون أنسابهم وعني بسيرتهم . . وهو المعاصر لعقبهم في المغرب العربي .

وورث منازلهم في ــ تربة ــ وما حولها ، وجبل ــ حضن ــ وما حوله قبيلة البقوم من حوالة بن الهنو بن الأزد ، القبيلة اليمانية القحطانية .

وخلصت ــ الخرمة ــ وما حولها ، الى ــ الغريف ــ بفتح الغين المعجمة و ــ رنية ــ وما حولها لبني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وتحمل في زماننا اسم ــ سبيع ــ تصغير سبع ــ وتشارك بني هلال في السكن والمكان من قديم الزمــــان . .

وانماعت القلة المتخلفة من بني هلال في قبيلتي ــ البقوم ــ و ــ سبيع ــ ودليلي على ذلك الاسم والمكان . .

في قبيلة البقوم سكان تربة بطن كبير يسمى بوازع ، ومن وازع : الرياحات الذين هاجر أكثرهم الى أفريقيا . والقرامدة : ــ تصحيف القرامطة ، حملوا الاسم معهم لانحيازهم الى القرامطة ومناصرتهم لهم . . وقد تحدث التاريخ عن انحياز بعض بني هلال الى القرامطة .

وفي قبيلة ــ سبيع ــ سكان رنية ، بطن كبير يسمى ــ بالسودة ــ من فخوذه : ــ المشاهيب وآل عاتب والمحاورة والعضلان والشموس . .

والسودة : ــ هم أبناء سويد بن عامر بطن من زغبة من بني هلال . .

وفي تهامة الجنوبية ، جبل ــ عفف ــ ويعرف أيضا في زماننا بجبل بني هلال ، تسكنه قبيلة تسمى ببني هلال ومن فخوذها : ــ أهل البرق والأخرش وآل مسجر وال أم جمعة وهم بلا شك من بقايا بني هلال . . ولا يعرف متى نزلوا بالجبل ولا أين سكانه الأقدمون بنو حرام بطن كنانة العدنانية .

بنــو حــرب ليســوا هلاليــين

جاء في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٦٢ طبعة دار المعارف بمصر تحقيق بروفنسال « ومن بطون بني هلال بنو حرب الذين بالحجاز » . .

وقد وهم بن حزم يرحمه الله ووهم بعده القلقشندي . .

قال القلقشندي في كتابه « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » ص ٢٣٢ طبعة مصر سنة ١٩٥٩ م. تحقيق الاستاذ ابراهيم الابياري : ــ « بنو حرب بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة ، ذكرهم الحمداني وقال منازلهم الحجاز ولم ينسبهم في قبيلة .. ثم قال : ــ وهم ثلاثة بطون : ــ بنو مسروح وبنو سالم وبنو عبد الله . . قال : ــ ومنهم زبيد الحجاز وبنو عمرو .. » . .

بنــو حــرب مــن خــولان

وقد قيض الله لأنساب العرب الحسن بن أحمد الهمداني اليماني المتوفى سنة ٣٣٤ هـ. مؤلف « صفة جزيرة العرب » و (الاكليل) فحفظها ودونها في كتبه النافعة . . وحسبك الهمداني من مؤرخ وناهيك من نسابة . . فقد كان رجل الدنيا وواحدها علما وفهما ودراية .

وأفرد الهمداني لخولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بابا في كتابه ــ الاكليل ــ الجزء الأول ص ١٩٨ طبعة مصر سنة ١٣٨٣ هـ. بتحقيق محمد بن علي الأكوع . . وافتتح هذا الباب بقوله : ــ « قد ذكرنا قبائل قضاعة ذكرا مجملا لشهرتها عند الناس ووقوف العامة عليها واستعمالهم لها وعمران قلوبهم بها وأسماعهم سوى خولان . . فاننا رأينا أن نشبع القول فيها لتلحق في التشجير والتعريف بباقي أخوتها من قضاعة ونحرص أن نأتي من ذلك مما يعرفه أهل نجد وبعض أهل الحجاز وكافة أهل اليمــن ونجران . . ولو كانت صعدة في القديم ، من البلدان التي رحل اليها أصحاب الحديث لانتشرت أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء . . فهذه الآن بطونها على ما روى رجال خولان وحمير بصعدة . . وقد سكنت بها عشرين سنة فاطلعت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما اطلعت على بطن راحتي وقرأت بها سجل محمد بن ابان الخنفري المتوارث من الجاهلية . . فمن أخبارهم ما دخل في هذا الكتاب ومنها ما دخل فــي كتاب (الأيــــام) . . » .

ثم طفق يشبع القول في خولان كما وعد ، الى أن يصل الى سعد بن سعـــد خولان . . ص ٢٩٨ من الكتاب . . فيقول : « وأولد سعد بن سعد بن خولان الحارث ابن سعد وحرب بن سعد وغالب بن سعد . . وأولد حرب بن سعد أربعة نفــر : ــ الفاحش ومالكا وعامرا والفياض . . فمن ولد الفياض بن حرب : آل عمرو بن يزيد . . وأولد الفاحش : ــ سليمان وسباقا ومسلما وضحاكا . . فأولد سليمان بن الفاحش بن حرب : زيادا وهم أهل العرج . . حدثني محمد بن ابراهيم بن اسماعيل المحاربي . . قد كان جاور في بني حرب بقدس ورضوى وينبع وتلك النواحي في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ونزل على محمد بن علي سيد بني حرب وأقام عنده .

وافترق جميع من بالحجاز الا من دخل فيهم من اخوانهم : من زياد بن سليمان ابن الفاحش بن حرب . .

وأولد زياد : ــ عمروا والخيار . . فمن بني عمرو بن زياد : ــ بنو ميمون . .
ومن ولد الخيار : ــ عبد الله بن الخيار وزبيد بن الخيار وبنو السفر بن الخيار . .

وسائر بطون بني حرب بن سعد بالحجاز . . قالوا فمن تلك البطون : بنو عامر ابن حرب ومنهم بنو عوف . . فمن بني عوف : ــ مسروح بن عوف ومسعود بن عوف وعلي بن عوف وممن هنالك : ــ بنو ذؤيب من لد سباق بن الفاحش بن حرب « ثم أخذ يقص علينا كيف تغلبت حرب على عنزة ومزينة وسليم سكان قدس ورضوى الأقدمين عندما أجلت حرب عن صعدة الى الحجاز في سنة احدى وثلاثين ومائة من الهجرة .

فالقول اذن ما قالت حزام ، وقطعت جهيزة قول كل خطيب .

بنو حرب ليسوا قبائل أشتاتا

وقبيلة حرب ليست مجموعة أحلاف كما يذهب اليه بعض النسابين . . وبطون بني حرب الرئيسية هي : ــ بنو علي وبنو عمرو وبنو سالم وبنو مسروح . .

وقد ذكر الهمداني في كتابه (آنف الذكر) : ــ بني علي وبني عمرو وبني مسروح وميمونا وهو بطن كبير في بني سالم . . وذكر بعض فخوذ هذه البطون كزبيد ــ بضم الزاي ــ وعوف وذؤيب وهم المعروفون الان بالذوبا ، وعدهم كما مر عليك من بني سعد ابن سعد بن خولان من قضاعة . .

وقبيلة حرب قبيلة كبيرة ذات قوة ومراس وشدة وبأس . . يقول الهمداني في كتابه : « الاكليل » ص ٣٠٥ من الجزء الأول : ــ « فلما غلبت بنو حرب على تلك البلاد وقهرت تعلقت قريش بأصهارهم وأسند اليهم كل واحد وألقى أزمة أمره في أيديهم وغلبوا على طريق المدينة الى مكة فلم يسرها أحد منهم الا بخفارتهم ، وكان المقتدر بالله يبعث اليهم طول حياته بالمال في خفارة الطريق » .

ويقول الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) ص ٩٠ تحقيق الشيخ ابن بليهد يرحمه الله : « وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها فانها تكاد تتحصل نحوها وتنسب اليها » .

ويقول ابن خلدون في المقدمة ص ٤٢٧ من الجزء الثاني طبعة مصر سنة ١٣٧٨ هـ تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، ما ملخصه : (اعلم انه من البين أن بعضا من أهل الأنساب يسقط الى أهل نسب آخر بقرابة اليهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قومه بجناية أصابها فيدعى بنسب هؤلاء . ثم انه قد يتناسى النسب الأول لطول الزمان ويذهب أهل العلم به فيخفي على الأكثر . . وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والعجم . . وانظر خلاف

الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء من ذلك . ومنه شأن بجيلة في عرفجة بن هرثمة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه ، وقالوا هو فينا لزيق أي دخيل ولصيق وطلبوا أن يولي عليهم جريرا ، فسأله عمر عن ذلك . . فقال عرفجة : « صدقوا يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من الأزد أصبت دما في قومي ولحقت بهم » . . وانظر كيف اختلط عرفجة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجه ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمان لتنوسي بالجملة وعد منهم بكل وجه ومذهب » . .

وجريا على هذه النظرية المعقولة والقاعدة السليمة ، دخلت في بني حرب قبيلتان : مزينة العدنانية وهم من طابخة بن الياس بن مضر ، وسليم وهم أبناء سليم ابن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان . . وكونت هاتان القبيلتان فخذين في بني سالم من عشرة فخوذ حربية خولانيـــة . .

وهنالك فخذ آخر من بني سالم يحمل اسم « هوازن » ويسكن بقرب وادي الصفرا وهنالك فصيلتان في بني عمرو . . احداهما تسمى ببشر وتسكن وادي فاطمة والاخرى تسمى بعبيدة وتسكن جبل ثبرا ــ بفتح الثاء وسكون الباء ــ و ــ عبيــدة ــ و ــ بشر ــ من عسير من قحطان انتسبتا الى حرب بحكم الجوار والاختلاط . . فبنو حرب ليسوا قبائل شتى كما قلت آنفا . . وان انضوى الى لوائها وانحاز اليها ولبس جلدتها : مزينة وسليم . . وهوازن وعبيدة وبشر . . هم خمس غرباء حلفاء . . قبيلتان وثلاث فصائل من ثلاثة وستين بطنا وفخذا أو تزيد ، كلها من بني حرب صريحة محضة خالصة النسب . . ولولا ضيق المجال لسردت تلك البطون والفخوذ ليلم بها من رغب الاطالة والاسهــــاب . .

« شبابـــة وخنـــدف »

وبدو الحجاز ونجد يرجعون بأنسابهم اليوم الى أصلين : ــ شبابة وخندف . . فشبابة تضم : عتيبة وبني الحارث وحربا وقحطان وبني سعد . . وخندف تضم : ثقيفا والبقوم وسبيعا والجحادلة وشيبان ومطيرا وهذيلا . . انظر كتاب « ما رأيت ومــــا سمعت » للزركلي ص ١٠١ . .

انه تقسيم عجيب ليس له أساس البتة ولا يعتمد عليه ولا يصح أن يأخذ بـــه النسابون المعاصرون . .

يقول علماء الأنساب القدامى : خندف بنت حلوان بن عمران بن الحاف بـــن قضاعة . . كانت تحت الياس بن مضر فعرف بنوه بها فقيل لهم : ــ خندف . . وأبناؤها : ــ مدركة وطابخة وقمعة . . فمن مدركة : كنانة بن خزيمة بن مدركة وأسد بن خزيمة بن مدركة وهذيل بن مدركة .

ومن طابخة : ــ أد بن طابخة جد تميم . . ومن طابخة : ــ مزينة والرباب كلها . . ومن قمعة : ــ خزاعة وأسلم . .

فبهذا التعريف الصحيح تبينت لنا خندف ، وتبين لنا الخطأ الذي أشاعه البدو عن غير علم ومعرفة . .

وخندف : ــ جدة ، أما شبابة : فجد . . هناك شبابة : ــ بطن من بني هلال يسكن افريقيا الشمالية . . وهنالك شبابة : ــ فخذ من عبد الله بن غطفان . . . . وهنالك شبابة : ــ بطن من فهم كان يسكن السراة . .

ذلك ما وضحته كتب الأنساب ونوهت به . .

ان خندفا في زماننا ــ اعتزاء ــ وكذلك شبابة . . اسمان اصطلح عليهما المقاتلة ــ بكسر التاء ــ لينحاز الى الاسم وقت الغارة قبائل شتى عقدوا بينهم معاهدة دفاع تقتضيها المصلحة المشتركة والحمية الجاهلية والنعرة القبلية . . ولم يراعوا في تلك المعاهدة أنسابا متلاحمة ووشائج قريبة ، كدأب بني آدم حضرا وبدوا عربا وعجما من قديم الزمان والى أن ينتهي الزمان . .

هذا بحث كتبته لأبين ما استطعت ــ ما غمض من أنسابنا العربية الطاهرة . . وما غمض كثير ! لا يقدر على تبيانه الا عالم الجزيرة المؤرخ الكبير النسابة الشيخ حمد الجاسر ، فلعله يقول كلمته مشكورا . وانها لفصل الخطاب .



هـــل كـــان العـــواد جـــادا في هجومـــه على ناقدي ثريـــا ؟

مـــاذا كتـــب العـــواد للثريـــا ومـــاذا كتـــب عنهـــا . . ؟

في صيف العام الماضي (١٣٨٤هـ) زرت استاذنا الكبير الصديق محمد حسن عواد في فندق شبرا بالطائف للسلام عليه ، وانتهزتها فرصة وسألته عن حقيقة ما نسب اليــه حـــول شعـــر الثريـــا .

قلت له : أصحيح أن شعر الثريا في رأيك أجود من شعر الشريف الرضي ، وأخذت أذكره بشعر الشريف ودرره الخالدة .

فقال لي : لم أقل هذا ، وانما قلت : في شعرها نفحات وطنية لا توجد في شعر الشريف الرضي .

فقلت له : كثيرا ما أسمعك تردد قول الثريا :

« أحبـــك والهـــوى أمـــر

بعمـــري خطـــه القـــدر

لتشقيـــني نوائبـــه »

والبيت من قصيدة غزلية لا وطنية ، وأين هذا البيت من قصيدة « يا ظبيـــة البـــان » للشريف الرضي . .

وكأنني بهذا القول أثرت حفيظته ، فدار النقاش بيني وبينه طويلا ، وعلى ضوء ما دار بيننا من حديث ، علمت أن استاذنا العواد كان يجامل الثريا الى حد بعيد لأنه يؤمن أن في المجاملة تشجيعا لها وحافزا ونسي ـــ عفا الله عنه ـــ ان النساء يغرهـــن الثنـــاء . .

أقول : ان استاذنا العواد كان يجاملها الى حد بعيد وعلى حساب الأدب المظلوم ، ولم أقل هذا الا بعد أن ناولني الاستاذ العواد في أثناء الحديث ورقات جاء فيها أهـــم ما كتبه الاستاذ العواد في رسالته الخاصة للسيدة ثريا قابل حول ديوانها « الأوزان الباكيـــة » .

جاء في هذه الورقات التي احتفظ بها ما يلي :

الديوان يحتوي على ٢٦ قصيدة أو قطعة ، ليس فيها سوى ثلاث قطع سلمت من الركاكة والخلل وأخطاء اللغة وكسر الأوزان وضعف الاسلوب وهذه القطع هي : —

١ — الرمال السمر ص ٢١
٢ — دربـــي ص ٥٩
٣ — أرق ص ٦٥

بل حتى هذه وهي أقرب قطع الديوان الى السلامة الفنية ، لم تبرأ من الأخطاء ففي الأولى : — « أني أتيت أرى رؤايا الخضر تضحك كالربيع » ولا أعتقد أنه يتفق نفسيا أن تضحك الرؤى الخضر كالربيع في نظر شاعرة تبدو الحياة في نظرها « كئيبة » و « غريبة » . هذا تناقض فكري في المحتوى يقوم الى جانبه خطأ في الهيكل وفي المبنى حيث تستعملين — والخطاب للثريا طبعا — كلمة « رؤى » بدلا من كلمة « قرائن » أو « مشاهد » أو « مناظر » وحيث تشكلين كلمة « الخضر » بكسر الآخر وحقها أن تنصب .

وفي الثانية : أي القطعة الثانية في الترتيب .

دربـــي صحـــاري

قد تغنى الجهل فيها . . . وأنشـــدا . .

وكلمة « وأنشدا » نشاز غريب في هذه النغمة الجميلة ، انها زائدة لا مكـان لها هنا بالمرة ، فضلا عن أنها تربك الوزن وتخرجه عن الاستقامة العروضية ولو حذفت لكان الخير كله في الاستغناء عنهـــا .

وفي الثالثة : زوارقه أشلاء مبعثرة باعصار . وكلمة « أشلاء » على حلاوتها الشعرية هي التي عكرت صفو الوزن وجعلته يختل لأن قياسها العروضي هـــو « أفعالن » « — ٥ — ٥ — ٥ » بينما يقتضي هذا البحر أن تكون مكانها كلمة أخرى من قياس وزن « مفاعلين » : — « — — ٥ — ٥ — ٥ » ويمكن تعديل هذا البيت ليأخذ حقه في الوزن هكـــذا :

زوارقه أضاليـــل مبعـــثرة باعصـــار »

أواذا لم تستثقلي التصغير : زوارقه أشيلاء مبعثرة باعصار . أو : زوارقه كأشلاء مبعثرة باعصـــار .

واسم هذا البحر « الهزج » وهو من أجمل أوزان الشعر ، وهو حساس تفسد نفحته الموسيقية بأقل خلل » . انتهى .

ومن هذه الرسالة الأدبية التوجيهية التي أجاب بها الاستاذ العواد الشاعرة

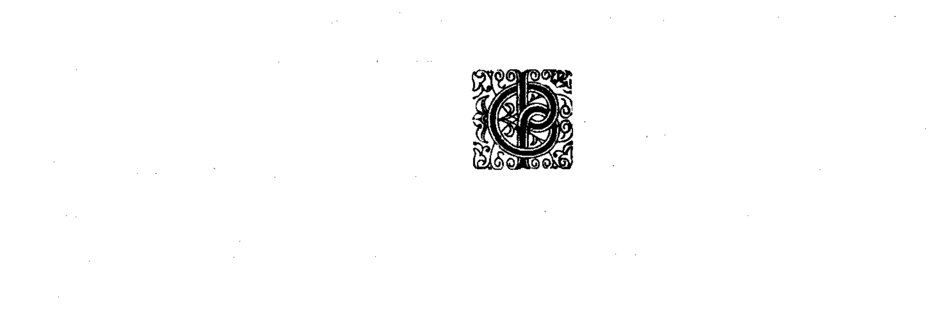
ثريا قابل على رسالتها التي تطلب فيها نقد ديوانها « الأوزان الباكية » وهي رسالة خاصة ، ومن المؤكد أنها طويلة ولكن هذه الفقرات هي التي تهم القارىء .

ومن هذه الرسالة يتضح أن الاستاذ العواد وهو البصير الذي يعرف الزغل في الذهب ، كان يبارك شعر الثريا بالثناء عليه متأثرا بعاطفته المعروفة في كل ما أدلى به للصحف من قول عن شعر الثريا . .

وكان صريح رأي العواد في شعر الثريا غير معروف ، لولا هذه الرسالة التي وضعت النقط على الحروف . . والتي يقرر فيها الاستاذ العواد أن شعر الثريا حاشية مهملة في ديوان الشريف الرضي . .

وبهذه الرسالة ينتصر الاستاذ العواد للحق . .

والحق أحق أن يتبع وأن غضبت الثريا وثار سهيل .



١ ــ ســـارق الفــردوس ٠ ؟ !

جون ملتون الشاعر الانجليزي الضرير وصاحب « الفردوس المفقود » تلك الملحمة الكبرى التي رسم فيها سقوط الانسان وأمل الفداء والتي حظيت بالصيت وبهـا نال ملتون شهرته في عالم الأدب ، حتى ان بعض النقاد رفعه فوق « شكسبير » وكيف لا ؟ ! وهو الذي سد فراغا كبيرا في الأدب الانجليزي وتدارك ما كان أدباء الانجليز يفتقرون اليـــه .

وكان للأدب اليوناني « هوميروس » واللاتيني « فرجيل » والايطالي « دانتي » وكان الأدب الانجليزي يفتقر الى شاعر الملحمة ليسمو به ، فجاء ملتون عام ١٦٦٧ م « بفردوسه المفقود » الملحمة الخالدة ، فسد الفراغ . .

هذا ما كان معروفا عن « ملتون » وملحمته حتى وقت قريب . .

غير أنه اتضح أخيرا أن ملتون قد اقترف سرقة سافرة وهو ينظم ملحمتـه . . الفردوس المفقود العمل الخالد الذي قام به ملتون ونال به لقب شاعر انكلترا العظيم ، مسروق بحذافيره من أديب ايطالي غير مشهور كان معاصرا لملتون اسمه « سيرا فينودللا سالاندرا » .

كان سالاندرا شاعرا مسرحيا ايطاليا نشر مسرحية دينية اسمها : « أدامـو كانوتو » سنة ١٦٤٧ م٠ وهذه المسرحية هي التي انتحلها ملتون بعد أن وضع لها اسما آخر وكان هذا الاسم « الفردوس المفقود » . .

قد نتساءل عن الطريقة التي وصلت بها هذه المأساة الى « ملتون » . ربمـا كان قد لقى سالاندرا في أثناء رحلته في ايطاليا ، وان سالاندرا ربما كان قد سلمه مخطوط مأساته لعلمه أن « ملتون » شاعر مشهور ورجل ذو نفوذ في انكلترا ، وبأمل أن ينظر « ملتون » في ترجمة المأساة الى اللغة الانجليزية هذا الى ما هو معروف من أن «ملتون» كانت له مكاتبات مع بعض الايطاليين ، فلقد لقي « جروتيوس » في باريس و «جاليليو» في فلورنسه ، كما لقي غيرهما من مشاهير عصره الذين لعلهم أرسلوا اليه نسخة من تلك المأساة بعد نشرها ولم تلق المأساة هذه سوقا نافقة .

اذا صح هذا الكلام وهو ما يقوله : « بيرتن راسكو » في كتابه « عمالقة الأدب » عن ملتون . . اذا صح هذا الكلام فليس لملتون من الآثار الأدبية ما تضعه ولو تجاوزا في صفوف عمالقة الأدب . .

وان ما يقوله « راسكو » يعتبر ثورة في عالم النقد ، ثورة يفتقر اليها الأدب العربي. فليت لنا « راسكو » يؤمن بقدسية النقد وينزهه عن التمرغ على أقدام الأصنام . !

والحديث ذو شجون . .

قال ابن النديم في كتابه الفهرست ص ٢٤٠ طبعة المكتبة التجارية عن الخالدين : سعيد بن هاشم ومحمد بن هاشم ، وهما شاعران وأديبان كبيران من أدباء الموصل في القرن الرابع من الهجرة . . قال ابن النديم : « كانا اذا استحسنا شيئا غصباه صاحبه حيا أو ميتا ، لا عجزا منهما عن قول الشعر ولكن كذا كانت طباعهما » .

وصدق ابن النديم فقد اتهمهما الشعراء المعاصرون لهما بسرقة شعرهم وكان السرى الرفاء الشاعر المعاصر لهما كثيرا ما يتصدى لهما ويشنع عليهما ويغض منهما وله قصائد في هذا المعنى ، ومنها قصيدته التي يقول فيها وقد خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي ، حين سمع أن الخالديين يريدان الرجوع الى بغداد :

بكرت عليك مغيرة الاعراب	فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعة بن مكدم	وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفعندنا شك بأنهما هما	في الفتك لا في صحة الانساب
جلبا اليك الشعر من أوطانه	جلب التجار طرائف الأجلاب
شنا على الآداب أقبح غارة	جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلي قفرة	وحذار من حركات ليثي غاب
لا يسلبان أخا الثراء وانما	يتناهبان نتائج ـ الألباب

وهي قصيدة طويلة طريفة انظرها كاملة في يتيمة الدهر للثعالبي ٢ : ١٤٥ طبعة حجازي بالقاهرة سنة ١٣٦٦ هـ. وانظرها أيضا في ديوان السرى الرفاء ص ١٩٧ طبعة القدس سنة ١٢٥٥ هـ. وفي ٤ : ٤٤٢ من مختارات البارودي طبعة الجريدة بسراي البارودي سنة ١٣٢٩ هـ. وفي معاهد التنصيص للعباسي ٤ : ١١ طبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٧ هـ. .

الا ترى معي أيها القارىء أن في الخبرين وجه شبه وان اختلف المكان والزمان وتباينت اللغة واللسان .

٢ ـ العواد وعزيز أباظة

لقد سعدت بقراءة مقال الاستاذ محمد حسن عواد المنشور بجريدة الندوة العدد ١٦٠٩ الصادرة في ١٠ / ١ / ١٣٨٤ هـ. بعنوان « هرجلة غير عربية » . ولي عليه حاشية أرجو أن تحظى باهتمامه . .

ذكر في مقاله آنف الذكر ما نصه : « عزيز أباظه كغيره من الأتراك المتمصرين » .. وهذا غير صحيح .

ان آل أباظة بغض النظر عن كلمة « أباظة » التركية عرب أصلاء من عرب مديرية الشرقية بمصر ، ينتمون الى جذام من قبائل قحطان . .

واليك ما كتبه الاستاذ نعوم شقير في كتابه « تاريخ سيناء » طبعة المعارف بمصر سنة ١٩١٦ م. ص ١٠٨ : ــ « وأما « العايد » فهم الان من سكان مديرية الشرقية في جهة بلبيس وقد تحضروا وتركوا البادية ، وهناك خط يدعى خط العايد الى اليوم . وليس لدينا دليل على أنهم سكنوا جزيرة سيناء ، ولكنا نرى أن الحكومة المصرية عهدت اليهم قديما خفر المحمل الشريف من مصر الى العقبة ، وقد ورد ذكرهم في كتاب «الأم» .. المحفوظ في دير سيناء ان لهم الاشراف على قبائل الطورة وفي بيت شيخهم كانت تعقد شروط الاتفاق بين عرب الطورة ورهبان دير سيناء بشأن تأجير الابل وتأمين الطرق ونحوها كما سيجيء . .

والعايد الان فريقان : ــ فريق يرجع بنسبه الى ابراهيم العايدي وفريق الى حسن أباظة ، ومن هذا الفريق أسرة أباظة المشهورة وكبيرها اسماعيل باشا أباظة ، وينتهي نسب العايد الى عقبة الى جذام الى قحطان ، وكانت جذام في جملة من دخلوا مصر مع عمرو بن العاص . » . هذا ما كتبه الاستاذ نعوم شقير وانظر أيضا كتاب « البيان والاعراب » للمقريزي ص ١٩ طبعة عالم الكتب سنة ١٩٦١ م. وصبح الأعشى ١ : ٣٣٣ للقلقشندي .

وانني أستنتج أن حسن أباظة الذي نسب اليه فخذ من العايد ، اشتهر بأباظة نسبة الى « كفر أباظة » بمديرية الشرقية والنسبة الى مكان أعجمي أو الى لفظة أعجمية لا تؤدي الى معرفة نسب الشخص المنسوب اليها . (١)

والاستاذ العواد يعرف أن من العائلات الحجازية من ينتمي الى « برنجي» وهم عرب من المغرب والى « برزنجي » وهم سادة علوية الخ . . والناس كما يعرف الاستاذ العواد أمناء على أنسابهم .

وأخيرا للاستاذ الكبير الصديق محمد حسن عواد احترامي وتقديري . .

(١) والصواب أن الكفر منسوب الى آل أباظة ، وكلمة أباظة جاءتهم من جدة لهم شركسية .

المؤلف

٣ ـ مـن أحـاديث الشعوبيـة

قرأت في مجلة العربي العدد ٦٨ الصادرة في صفر ١٣٨٤ هـ. مقالا للدكتـور محمد محمود الدش بعنوان « وضاح اليمن » وقد استلفت نظري ما عرضه الدكتور من حياة وضاح اليمن عرضا من واقع المراجع العربية التي استعان بها في كتابة مقاله دون ما تمحيص ولا تصحيح ، حتى أن الدكتور سامحه الله جعل عنوان مقاله : « وضاح اليمن الشاعر الذي قاده حبه الى حتفه في أسفل بئر داخل صندوق مقفل » . مستشهدا بالخبر الذي أورده الأخفش في كتابه « المغتالين » . وخلاصته : « ان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك دعا خادمه وبعث بعقد جوهر معه الى زوجته أم البنين ، فدخل الخادم عليها فجأة ووضاح اليمن عندها ، فأدخلته صندوقا وهو يرى ، فذهب الخادم وأخبر الخليفة ، فما كان من الخليفة الا أن ذهب ودخل على أم البنين وقد وصف لـه الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه ، فقال لها : هبي لي صندوقا من هذه الصناديق فقالت له : خذ أي صندوق شئت ، فقال هذا الصندوق ، ثم دعا عبيدا له فأمرهم فحفروا بئرا ثم دعا بالصندوق ، فقال : ــ انه بلغنا شيء ان كان حقا فقد كفناك ودفناك وان كان باطلا فانا دفنا الخشب ثم قذف بالصندوق الى البئر وهيل عليه التراب . ثـم ما رؤي لوضاح اليمن أثر في الدنيا بعد ذلك وما رأت أم البنين أثرا في وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما » . .

والخبر هذا قد أورده أيضا محمد بن حبيب في كتابه « أسماء المغتالين مـن الاشراف في الجاهلية والاسلام » ص ٢٧٣ المجلد الثاني من نوادر المخطوطات تحقيق الاستاذ محمد عبد السلام هارون .

ولكن هذا غير صحيح لأن الخبر يبدو مختلقا مدسوسا على مؤرخينا القدامى وأجزم أن للشعوبية يدا طولى في تأليف هذا الخبر وغيره من الأخبار التي لا يقرهـا العقل ولا يؤيدها المنطق . .

كيف بالله ؟ ! لا يثور ولا يغضب الخليفة الوليد بن عبد الملك عندما يأتيه خادمه ويخبره أن في بيت أم البنين زوجته شاعرا عاشقا يختلي بها .

وأين بأس العربي وشدة حفيظته في أمر جلل كهذا .

ان هذا ــ ان صح ــ لفجور وفسق وحاشا للخليفة العربي أن يقف هذا الموقف الذي لا يشرفه تجاه زوجته أم البنين لأنها أحق بالقتل من عشيقها .

ولكن الخبر كما قلت آنفا مختلق . وقاتل الله الشعوبية الذين أرادوا أن يهزأوا

بنا وبشيمنا وأخلاقنا وحتى ديننا ، فدسوا على مؤرخينا ما دسوا . .

هـــداك اللـــه يـــا تاريـــخ يـــا شيـــخ الأضـــاليـــل
فمـــا أقـــدر كفيـــك علـــى نســـــج الأباطيـــل
لكـــم تـــروى خرافـــات نراهـــا فـــي الحقيقـــات
وكـــم تـــروى حقيقـــات نراهـــا فـــي الخرافـــات

وأخيرا أقول ما قال الامام الزمخشري رحمه الله : « الله أحمد على أن جبلني على الغضب للعرب ، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوي الى لفيف الشعوبية وأنحـــاز » . .



١ ـ فـــارس كنانـــة ..
ومصرع الخليفة الثاني

هذا بحث تاريخي طريف ممتع يضع به الكاتب النقاط على الحروف مدعمة بحقائق علمية ومراجع يعتمد عليها في اللغة والادب والتاريخ . . حيث يرد اسما من أسماء العرب ، وقع فيه وهم ، الى صاحبه الحقيقي . . والبحث كمـا يقولون ، هو أم الحقيقة وبالبحث تظهر الحقائق ! . . (المدينة)

قرأت للاستاذ أحمد أمين ــ رحمه الله ــ مقالا بعنوان « فارس كنانة » في كتابه فيض الخاطر ج ٤ ص ١١٣ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٨ هـ. ويعنى بفارس كنانة : أسامة بن منقذ الكناني الشيرزي الأمير المعروف والعالم الشجاع صاحب السيف والقلم ، مؤلف كتاب « لباب الأداب » و « العصـــا » و « الاعتبار » . . المتوفي سنة ٥٨٤ هـ.

يقول الاستاذ أحمد أمين : ــ « كنانة ــ أي قبيلة أسامة ــ قبيلة قحطانية كثيرة العدد كانت تسكن عند مجيء الاسلام أرضا فسيحة حول مكة تمتد من تهامة في الجنوب الغربي من مكة حيث يجاورون قبيلة هذيل الى الشمال الشرقي منها حيث يجاورون أسدا . . وقد دخلوا في الاسلام كما دخل غيرهم ونبغ منهم نوابغ كثيرون في الحروب وفي الشعر وفي العلم وسائر مناحي الحياة . .

فمنهم الشداخ بن عوف الذي كان على مجنبة أبي عبيدة بن الجراح يـــوم اليرموك . . ومنهم نصر بن سيار أمير خرسان في آخر العهد الأموي ، ومنهم رافع ابن الليث بن نصر بن سيار الخارج على الرشيد والقائد الكبير للمأمون ، ومنهم أبو الأسود الدؤلي الذي ينسب اليه وضع النحو ، ومنهم أبو ذر الغفاري الصحابي الجليل ، ومنهم ربيعة بن مكدم الملقب فارس العرب ، ومنهم قيس بن ذريح أحــد عشاق العرب المشهورين وصاحبته لبنى ، ومنهم عزة صاحبة كثير التي قال فيها غزله الرائع المشهور ، ومنهم ابن داب الراوية المؤرخ ، ومنهم كثير من المحدثين يضيق المقام عن ذكرهم » .

ولكن هذا وهم منه لأن أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ من آل منقذ من قبيلة كنانة كلب القضاعية القحطانية من أبناء كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بـــن الحافي بن قضاعة ، ومساكن كنانة القحطانية هذه دومة الجندل وتبوك الواقعتان شمال الجزيرة العربية ، وقد تفرقت في البلدان بعد الاسلام كغيرها من القبائل فسكن

بعضهم حماة وكفر طاب وشيزر من بلاد الشام ، وآل منقذ كانوا أمراء قلعة شيزر بقرب حماه . . والشداخ بن عوف ونصر بن سيار ورافع بن الليث وأبو الأسود الدؤلي وأبو ذر وربيعة بن مكدم وقيس بن ذريح وصاحبته لبنى وعزة بنت جميل وابن داب . . كل هؤلاء الذين ذكرهم الاستاذ أحمد أمين في مقاله من قبيلة كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر القبيلة العدنانية التي تسكن حول الحرم كما قال وليسوا من كنانة القحطانية عشيرة أسامة بن منقذ . . والشداخ بن عوف الكناني المضري لم يكن على مجنبة أبي عبيدة بن الجراح يوم اليرموك كما يقول الاستاذ أحمد أمين . . لأن الشداخ على وزن الشماخ لقب ليعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، وبنوه بطن من بني كعب بن عامر بن ليث ، وسمي الشداخ كما يقول ابن دريد في كتابه الاشتقاق ص ١٧١ طبعة مصر سنة ١٣٧٨ هـ. لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم ، فقال : « شدخت الدماء بين قدمي » . .

والذي كان على مجنبة أبي عبيدة بن الجراح يوم اليرموك هو : قباث ــ بضم القاف وفتح الباء وبعدها ألف ثم الثاء المثلثة ــ بن أشيم بن عامر بن **الملوح بن** الشداخ . . وانظر الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٨ طبعة مصر سنة ١٣٠٣ هـ. وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٧١ طبعة دار المعارف بمصر تحقيق بروفنسال ، وجاء اسمه في البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٨ : ــ قباب ، وهو تصحيف من الناسخ أو المطبعة ، فليصحح . . وقباث كما جاء في لسان العرب المجلد الثاني ص ١١٧ طبعة صادر ببيروت : ــ اسم من أسماء العرب معروف ، قال ابن دريد : ــ ما أدري مم اشتقاقه . .

٢ ــ مصرع الخليفة الثاني

قرأت في جريدة عكاظ الصادرة في ٢٧ / ١٠ / ١٣٨٥ هـ. كلمة للاستاذ المربي عثمان الصالح يذكر فيها أنه قرأ مقالة في جريدة عكاظ الصادرة في ٢٣ / ١٠ / ٨٥ هـ. عن مصرع الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه للكاتب محمد نديم حافظ . . وقد قال الاستاذ الصالح نقلا عن الاستاذ حافظ أنه وراء قتل الخليفة الثاني مؤامرة قام بها كعب الأحبار ووهب بن منبه وقال : ــ ان أبا لؤلؤة لو لم يقتل هو والهرمزان وجفينة واستجوبوا لتحدثوا عن المؤامرة . .

وانني لا أشك في أن وراء قتل الخليفة الثاني مؤامرة من أعداء الاسلام . . فالهرمزان أمير تستر لم يسلم الا بعد أن فتح المسلمون بلده عنوة وبعثوا به الى عمر رضي الله عنه ليرى فيه رأيه فأسلم ليسلم ، وجفينة نصراني من الأنبار ، وأبو لؤلؤة مجوسي يكره المسلمين ويبطن لهم العداء والشر ، وكعب الأحبار يهودي تظاهر بالاسلام عله يجد ثغرة يحارب منها الاسلام ولكن وهب بن منبه الصنعاني الذماري الذي ذكر مع المتآمرين لم يكن منهم للاعتبار التالي : ــ

وهب بن منبه توفي عن ثمانين سنة في عام ١١٤ هـ. فتكون ولادته سنة ٣٤ هـ.

هذا ما جاء في « العبر » للامام الذهبي ج ١ ص ١٤٣ طبعة الكويت ، وفي « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي ج ١ ص ١٥٠ طبعة القدسي بمصر ، وفي ج ١ ص ٢٤٨ من « مرآة الجنان » لليافعي طبعة حيدر آباد الدكن . . وفي تاريخ ولادته ووفاته خلاف ، غير أن رواية الذهبي وابن العماد واليافعي هي التي عول عليها واعتمدها المؤرخ المعاصر الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه القيم الأعلام . . والزركلي غني عن الكلام .

. . واذا علم أن الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه قد توفي سنة ٢٣ هـ. ووهب ابن منبه ولد سنة ٣٤ هـ. فكيف يشترك في مؤامرة اغتيال الخليفة عمر من لم يخلق بعد . .

هذا استدراك عابر وللموضوع بقية فيها تفصيل ستأتي في مقال آخر ان شاء الله أفرده للتحدث عن مقتل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

٣ ــ أشباه الرجال

أمر متمم الأخلاق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الناس بحسن الخلق وأثنى على وثنى لأنه يحب مكارم الاخلاق ، وقال للناس كلمته المشهورة : ــ اذا لم تستح فاصنع ما شئت . وقال شاعر قديم :

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه فلا خير في وجه اذا قل ماؤه

ونادى شوقي ــ شاعر الأخلاق ــ بالتمسك بالأخلاق وهي في نظره صلاح الامر وحذر الامم من ذهابهم اذا ما ذهبت أخلاقهم .

ولكن الانسان هو الانسان من قديم الزمان ، فهذا عاقل وهذا سفيه وهذا حيي وهذا لا يستحي ، وهذا رجل وهذا شبه رجل ان لم يكن امرأة في صورة ذكر . . وأشباه الرجال هؤلاء المتشبهون بالخنافس وبال على الأمة وبلاء .

واذا علمنا أن الشريعة الاسلامية قد حمت مال السفيه من أن يبدده بالحجر فان شبه الرجل الذي يتخنث في مشيته وحديثه وفعله وعمله ومظهره وزيه جهارا . . لا يحترم شعور أمته ، ضاربا بالمثل عرض الحائط ، أرى لزاما على أولي الأمر أن تتخذ معه ما تراه يحمي أخلاقنا الاسلامية ومثلنا العربية ، لئلا تعطي هذه الخنيفساء فرصة لسفيه يتهانف منه اذا رآه فاذا هو بعد ذلك يحاكيه ويقلده في كل شيء . .

« ومن لا يستحي يفعل ما يشتهي » كما جاء في مثلنا العامي لذلك فان النصيحة لا تجدي بقدر ما تجدي العقوبة

(عنترة العبسي ليس بالدخيل على اللغة العربية)

قرأت مقالا للاستاذ عثمان شوقي منشورا في مجلة « قافلة الزيت » العـدد الحادي عشر من المجلد الرابع عشر الصادر في ذي القعدة ١٣٨٦ هـ. بعنوان « عنترة العبسي بين عبسيته وسودانيته ولغاته » فذكرني المقال بمقال نشرته صحيفة « توحيد افكار » التركية الاسلامية بعنوان « ابراهيم عليه السلام تركي » للكاتب التركي اسماعيل حقي . . الذي ساق براهين واهية أو هي من بيت العنكبوت ليدعم بها قوله . . وقـد تصدت له مجلة « الزهراء » التي يصدرها السيد محب الدين الخطيب وعقبت على مقاله في العدد الأول من المجلد الاول الصادر في ١٥ محرم سنة ١٣٤٣ هـ.

وليس بالغريب أن يخرج علينا الاستاذ عثمان شوقي بمقال بينه وبين مقال الكاتب التركي اسماعيل حقي شبه في المغالطات وان اختلف الموضوع وبعدت المدة . . وقبل أن أبين مغالطات الاستاذ عثمان شوقي أسرد أهم ما جاء في مقاله آنف الذكر فـي السطـور التاليـة : ـــ

١ ـــ انه على يقين بأن أم عنترة العبسي سودانية زنجية وليست حبشية ودليله هذان البيتان . وهما لعنترة في أمه : ـــ

الساق منهـا مثل ساق نعامـة ... والشعـر منها مثل حب الفلفـل
وأنـا ابن سوداء الجبيـن كأنهـا ... ضبع ترعـرع في ربـوع المـنزل

والحبشية لا تكون دقيقة الساقين مفلفلة الشعر . . والعرب اذا تكلموا عن الحبشيات أوفوهن حقهن من الجمال فكانوا يحبون الجواري الحبشيات لسمرتهن وجمال أنوثتهن . . كما أن العرب لم يعرف عنهم أنهم كانوا يحتقرون الأحباش . .

٢ ـــ كان عنترة دخيلا على اللغة العربية لأنها لم تكن لغة أمه ولكنها لغة مكتسبة من البيئة التي نشأ فيها وشعر عنترة يفقد كثيرا من حواشي اللفظ وانتهاج الغريب . .

٣ ـــ ان بيئة عنترة في فجر حياته كانت محدودة فقد نشأ راعيا وسط العبيد ومعنى ذلك أنه كان يتحدث بلغة عربية مكسرة ربما كانت قريبة من اللغة العربية المعروفة في جنوب السودان .

٤ ـــ بعد التقصي وجد أمثلة من الألفاظ الغريبة غير العربية التي لم يألفها العرب متفرقة هنا وهناك وعز عليه الا يشرك غيره في هذا المعنى الذي يجد النحويون صعوبة في قبوله كشاهد نحوي ولو كان الاستاذ عثمان شوقي مكانهم ـــ لما قبله مطلقا لأنـه

لا يعتبر عنترة عربيا خالصا ولذلك فهو ليس حجة في اللغة . . وان ما يرمي اليه في قوله هذا هو قول عنترة :

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

فان لفظة المحب بدلا من الحبيب ــ هكذا ــ أمر لم يقل به العرب . . ولعل وروده بهذه الطريقة يرجع الى تأثير أمه الأجنبية ولكنتها في الكلام وتعبيرها بلغة أهلها الزنوج ولربما أعدت ابنها بلكنتها أحيانا فكانا يؤنثان المذكر ويذكران المؤنث . .

هذا ملخص ما جاء في مقال الاستاذ عثمان شوقي . . ولي عليه تعقيب ليس بالمختصر المخل ولا بالمسهب الممل . .

عنترة من أبناء الحبشيات . .

أجمع الرواة والمؤرخون على أن زبيبة أم عنترة حبشية وبهذا قال :

من القدامى : ــ محمد بن حبيب المتوفي سنة ٢٤٥ هـ. في كتابه « المحبر » ص ٣٠٦ طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦١ هـ. والامام التبريزي في كتابه « شرح القصائد العشر » ص ١٨٠ . . الطبعة المنيرية سنة ١٣٥٢ هـ. وأبو الفرج الاصبهاني في كتابه « الأغاني » ج ٨ ص ٢٣٧ طبعة دار الكتب المصرية والبغدادي في كتابه « خزانة الأدب » ج ١ ص ٧٢ طبعة بولاق . .

ومن المعاصرين : الزركلي في كتابه « الأعلام » ج ٥ ص ٢٦٩ الطبعة الثانية . . وجورجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ج ١ ص ١٢٧ طبعة دار الهلال سنة ١٩٥٧ م. وابراهيم الابياري والشلبي في مقدمة « شرح ديوان عنترة » صفحة ط ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر بدون تاريخ ، وبروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » ج ١ ص ٩٠ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ م.

وقد أفرد ابن حبيب في كتابه « المحبر » بابا أحصى فيه من كانت أمه حبشية من العرب وذكر عنترة منهم ، فبلغوا ستين رجلا ، وفيهم من سادات العرب :

١ ــ نضلة بن هاشم بن عبد مناف .
٢ ــ الخطاب بن نفيل والدعمر بن الخطاب .
٣ ــ عمرو بن العاص .
٤ ــ صفوان بن أمية بن خلف .
٥ ــ السباق بن عبد الدار بن قصي .
٦ ــ سمرة بن حبيب بن عبد شمس .

٧ ــ هشام بن عقبة بن أبي معيط .
٨ ــ العباس بن المعتصم . .
وغيرهــــم . .

غير أن السواد لم يسر اليهم جميعا من قبل أمهاتهم ، اذ لم يكن من أغربة العرب سوى عنترة العبسي واثنى عشر رجلا آخرين أسماهم صاحب « لسان العرب » في مادة « غــــرب » . .

مــن هــم ســكان الحبشــة ؟

يطلق لفظ « أثيوبيا » على الحبشة وهو يوناني الأصل مركب من كلمتين « الوجه » المحترق » وسكان الحبشة هم : ــ

١ ــ الكوشيون .
٢ ــ الافريقيون السود .
٣ ــ الساميــون . .

واللغة « الجعزية » هي لسان أهل الحبشة في الثمانية القرون الأولى مــن تاريخها حتى القرن الثالث عشر الميلادي حيث حل محلها اللغة « الأمهرية » . .

واللغة « الجعزية » المنقرضة واللغة « الأمهرية » فرعان من اللغة الاثيوبية التي هي فرع من اللغة « السامية » . .

ومن المعلوم أن « السامية » كعرق لا معنى لها . . أي أن العرب والأحباش الذين يتكلمون لغة سامية لا يلتقون معا في المظاهر والصفات الخلقية « فيزكية » . .

والعنصر السامي الحبشي اختلط مع الكوشيين والافريقيين السود من قديم الزمان . . وأصبح من المألوف أن ترى حبشيا ذا وجه أسود داكن وشعر مفلفل وأنف غير أقني وساقين دقيقتين . . وانظر كتاب « العنصرية والأعراق » للدكتور ممدوح حقي ص ٩٦ طبعة دار العلم للملايين سنة ١٩٦١ م. وكتاب « بين الحبشة والعرب » للاستاذ عبد المجيد عابدين ص ٧ ــ ١٠ طبعة دار الفكر العربي .

العــــرب والأحبــــاش

والعرب قبل الاسلام كانوا يحتقرون الأحباش ويزدرونهم وان أثنوا على الجواري الحبشيات لجمالهن . . فالعرب من البشر يعشقون الجمال ولو جاء هذا الجمال على الصورة التي عشقها الشاعر القائل : ــ

تعشقتها شمطــاء شاب وليدهــا   وللناس فيما يعشقــون مذاهــب

ويؤيد ما ذهبت اليه من أن عرب « الجاهلية » كانوا يحتقرون الأحباش قـول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا » . . وذكروا أن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري عير عمر بن الخطاب فقال له : ــ « يا ابن السوداء » لان جدته لوالدة أمه حبشية . . فأنزل الله تبارك وتعالى : ــ « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم » . .

وعندما أراد الشاعر أن يهجو يعلى بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لأن أمـه حبشية فورث منها شعرا مفلفلا ، لم يجد الشاعر الا أن يقول له : ــ

كأن علـى مفـارق رأس يعلـى ... خنافس موتـت زمـن البطـاح
على اسم اللـه ثم لدى غلامـا ... فسميـه بأفلـح أو ربـاح

وسمع عكيم بن عكيم الحبشي شاعرا من بني كلب يقول : ــ

لا تفخرن بخـال من بنـي أسـد ... فان أكـرم منها الزنـج والنـوب

فغضب عكيم ونقض قصيدة الشاعر الكلبي بقصيدة طويلة . .

وتلاشى هذا كله بالاسلام الذي ساوى بين المسلمين ووحد كيانهم . .

وعكيم الحبشي هذا من رجال القرن الثاني الهجري ، ومع أنه حبشي فقـد كان أفصح من العجاج وكان علماء الشام يأخذون عنه كما أخذ علماء العراق عن المنتجع بن نبهان وكان المنتجع سنديا وقع الى البادية وهو صبي فخرج أفصح من رؤبـة . .

واذا كان هذا حال عكيم الحبشي والمنتجع السندي فما بالك بعنترة العبسي الذي ولد في أحضان البادية وبين بني عبس القبيلة الغطفانية المضرية . . فهل نصدق فيه قول الاستاذ عثمان شوقي : ــ « انه كان يتحدث بلغة عربية مكسرة ، ربما كانت قريبة من اللغة العربية المعروفة في جنوب السودان » . .

الدخيل في اللغة العربية من اللغة الحبشية

واللغة العربية قد دخلها الكثير من الألفاظ الحبشية وجاء بعضها في القرآن الكريم . . ومن هذه الألفاظ : ــ حواري ومنبر ومنافق ومشكاة وخوخة وسكة وصرح وحنبل وصواع وزرافة وبغل . .

وكلمة « مصحف » التي أطلقت على الكتاب الذي يضم كلام الله عز وجل ما هي الا كلمة حبشـية . .

ومع أن أم عنترة حبشية فقد سلم شعره من هذا الدخيل . . وأعني بشعر عنترة

الثابت له المروي عن الأصمعي . . لأن لعنترة شعرا كثيرا منتحلا ومنه هذان البيتان : —

الساق منهـا مثل سـاق نعامـة   والشعـر منها مثل حب الفلفـل
وأنا ابن سـوداء الجبـين كأنهـا   ضبع ترعـرع في ربـوع المـنزل

أما البيت الذي ساقه الاستاذ عثمان شوقي ليستدل به على وجود الغريب غير العربي في شعر عنترة . . وهو : —

ولقـد نزلـت فلا تظني غـيره   مـنى بمنزلـة المحـب المكـرم

فالشاهد فيه وان كان شاذا لا يصلح دليلا على أن عنترة كان يتحدث بلغة مكسرة ! ! وأحب أن أنبه الاستاذ عثمان شوقي أن الشاهد الذي ذكره شاهد لغوي وفاته أن يذكر الشاهد النحوي ! ! وقد أخطأ الاستاذ عثمان حينما فسر « المحب » بالحبيب اذ أن الصواب : — « المحب » بفتح الحاء المهملة بمعنى « المحبوب » . . .

وجاء في المحكم لابن سيدة ج ٢ ص ٣٧٩ طبعة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية : — « أحبه فهو محبوب على غير قياس على الأكثر . . وقد قيل « محب » بفتح الحاء على القياس وذكر بيت عنترة . . أي أن عنترة قال : — « محب » على القياس . . وكره بعضهم حببته وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح : —

فأقسـم لـولا تمـره ما حببتـه   وكـان عياض منه أدنى ومشـرق

مع أن قائل البيت عيلان بن شجاع النهشلي الدارمي التميمي . . وهو عربي صحيح النسب ممن لم يطرأ على لسانه اللحن . .

والشاذ في اللغة كثير ، ولا تدل اللفظة الشاذة في بيت من شعر القدامى على أن صاحبه يرتضخ لكنة عجمية . .

روى أن سحيما عبد بني الحسحاس وهو عبد حبشي . . اذا أنشد شعرا ، قال : — أحسنك . . وهو يريد أحسنت . . ومع أن هذه لكنة حبشية ظاهرة فقد روى البغدادي في « خزانة الأدب » ج ٤ ص ٣٢٦ — ٣٢٧ طبعة المطبعة السلفية سنة ١٣٥١ هـ . : — هذا الرجز ونسبه لراجز عربي اسلامي صحيح النسب : —

يا ابـن الزبير طالمـا عصيكـا   وطالمـا عنيكتـا اليكـا
لنضربن بسيفنـا قفيكـا

فجاء في الشعر كما ترى قلب الألف ياء مع الاضافة الى كاف الضمير في قوله : قفيكا والأصل : قفاكا . . وهذه لهجة عربية معروفة . .

وعصيكا : ـ أصله « عصيت » قال ابن جنى في سر الصناعة : ـ أبدل الكاف من التاء لأنها أختها في الهمس . . وقد ذكرت آنفا أن سحيما عبد بني الحسحاس اذا أنشد شعرا قا ل: ـ أحسنك يريد أحسنت . .

وعنيكنا اليك : ـ بمعنى عنيتنا ، أتعبتنا بالمسير اليك .

فهل قال أحد من علماء اللغة أن الراجز العربي يتكلم لغة مكسرة ؟ ؟ . . . الجواب بالطبع : ـ لا . . لأن علماء اللغة كانوا على علم باللهجات العربية وشواذها .

شعـــــر عنـــــترة

لعنترة العبسي ديوان من الشعر أكثر ما فيه مصنوع ولم يثبت له من القصائد الا التي رواها الأصمعي وهي الرواية البصرية ، ولولا ضيق المجال لسردت شعره المتواتر كلـــــه . .

يقول الاستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه « تاريخ الأدب العربي » ج ١ ص ١٧٥ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ م. : ـ « والحق أن الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير غير أن ذلك لم يكن غائبا عن القدماء فقد عرضوه على نقد شديد تناولوا به رواته من جهة وصيغه وألفاظه من جهة ثانية أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق » . .

وأخيرا أود أن أهمس في أذن الاستاذ عثمان شوقي : ـ بأن كتابة البحث التاريخي تختلف عن كتابة الموضوع الصحفي . . ولا أغمط الاستاذ حقه في الموضوع الصحفي فله فيه اليد الطولى والقدح المعلى . .



خواطر وصور من واقع الحياة في الريف

يمتاز ريفنا عن أرياف البلاد العربية بهدوئه واستقرار ساكنيه واستتباب الأمن في ربوعه . فلا قتل ولا سلب ولا ثأر ولا اغتيال ولا سرقة ولا اختلاس .

قاطنوه أولو أخلاق كريمة وسجايا حميدة ، لا يعرفون الكذب ولا المداهنة ولا التملق ولا الرياء ، الصدق رائدهم والصراحة ديدنهم والطيبة والسذاجة من صفاتهم والحب والوئام من طباعهم .

لقد كان الريف فيما قبل الحكم السعودي تعمه الفوضى ، وتجتاحه الاضطرابات ، وتسيطر عليه العادات والتقاليد المستمدة من عصور ما قبل الاسلام فهناك التعصب القبلي والحمية الجاهلية والخرافات والخزعبلات التي تغلغلت في نفوس سكانه فخالطت العظم حتى النخاع وجرت فيهم مجرى الدم .

يقتتل الرجل وابن عمه لأتفه الأسباب والدواعي ، فتراق الدماء وتزهق أرواح الرجال ، وما أسرع ما يتساقطون صرعى في ساحة القتال ، هانت عليهم أرواحهم فقدموها قرابين للشيطان رمزا لشجاعتهم المزعومة ودليلا على بأسهم وبطشهم وشدتهم .

الويل لمن بين ظهرانيهم وهو لا تربطه بهم وشائج القربى وأواصر النسب ، فانهم يضربون عليه الجزية ويعاملونه معاملة الذمى ويفرضون عليه أتاوى يؤديها لكبيرهم صاغرا مرغما مكرها ، ويستبدون ويبطشون .

ولقد عشت في الريف — أعني ريفنا — بعد أن تهذبت أخلاق أهله بفضل الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وحسنت طباعهم وتطهرت نفوسهم من أدران الماضي الذي لم يجنوا منه الا الجهل والضلال .

عشت فيه فرأيت رجالا ذوي قلوب رحيمة ونفوس طاهرة زكية ، أتقياء بررة ، يحبون الغريب وينزلونه بينهم منزلا مباركا ويجاورهم على الرحب والسعة ، لا يتطرق اليه الأذى ولا يصل اليه الهوان والصغار — بفتح الصاد — ويفدونه بالنفس والنفيس ان اقتضى الأمر والحال .

عشت فيه ردحا من الزمن فتعلمت من أهله كل حسن جميل ، واقتبست منهم الخصال الحميدة التي يعتزون بها أيما اعتزاز ، وأحببتهم وأحبوني ، حتى أنني تقدمت الى أحد رجالاتهم طالبا منه أن ينكحني احدى بناته ، فوافق ولبى طلبي على شريطة

أن أكون ممن ينتمون الى قبيلة عربية معروفة الأصل والحسب والنسب جريا وراء تقاليدهم الموروثة السائدة بينهم ، وكانت وأيم الله مفاجأة لم تكن في الحسبان حمدت الله بعد أن علمت ممن أثق بهم من أصحاب وأتراب الوالد رحمه الله انني أنتمي الى قبيلة (يمانية قحطانية) ، وان كان المرحوم الوالد غفر الله له ولأجداده الطيبين الطاهرين لم يدون نسبه على القراطيس أو الكواغد المصنوعة من جلد الغزال ، لأنـــه اكتفى بما هو معلوم ومعروف عنه

ولم يكتف من اخترت ابنته لتكون شريكة حياتي بالأشهاد الذين تطوعوا من تلقاء أنفسهم بادلاء ما يعرفونه عن نسبي وحسبي الا بعد أن استعدوا لسرد أسماء أجدادي من الحسن بن عبد الله الى قحطان أو يقطان بن عابر أو بن هود فقد اختلف النسابون في اسمه واسم أبيه .

بيد أنني يعلم الله قد ارتعدت فريصتي وأصبت بحمى المتنبي التي لا تفارق صاحبها حتى تغسله فكأنهما عاكفان على حلال لا حرام ، فان الحرام هنا يأباه الذوق والعرف ، ارتعدت فريصتي عندما طلب أحد أفراد القبيلة وكان معروفا بذكائه ودهائه وعبقريته أن يأتوا بقطرات من دم المرحوم (قحطان) الجد الأعلى لقبيلتي وقطرات من دمي وتجرى التحاليل والفحوص فان كانت فصيلة دمي من فصيلة دم المرحوم (قحطان) فقد وافق شن طبقة ، والا ــ لا سمح الله ــ كنت دعيا غير صحيح النسب كانتساب زياد الى بني أميـــــة .

وقد دارت بي الارض أربع دورات ــ هكذا تخيلتها وأصبت باغماء شديد وليصفح علماء الجغرافية عني ان كنت أخطأت في عدد دورات الارض ، ولم أفق من سكرتي الا على صوت شيخ من كبار القوم قد حنكه الدهر يقول ــ لا فض فوه : ــ دعوا الطب الحديث وترهاته ، فهل يميز بين فصائل الدماء الا الله عز وجل فسرني كلام الشيخ ودعوت له بالطيبات المباركات ، وسألت عنه فقيل لي : هذا ابن بخيتة الشجاع البطل المغوار . قلت : ومن بخيتة ؟ ؟ فقيل لي : ــ قينة من الأحباش كانت للمرحوم والده تسررهـــــا :

فأتتــت بـــه حـــوش الفؤاد مبطنـــا سهدا اذا ما نـــام ليـــل الهوجـــل

ففهمت سر دفاع الشيخ وحماسته .

وانتهت الجلسة وحكمت المحكمة بأنني قحطاني أصلا ، وتم الزواج وهنأني الحاضرون بالرفاه والبنين .

والزواج في القرى يختلف كل الاختلاف عن الزواج في المدن التي لا يتم الزواج فيها الا بعد أن يدفع الزوج مهرا خياليا ، بله الشروط والقيود التي يمليها ولي أمر

الزوجة وما على الراغب في الزواج الا أن يذعن لها ويتقبلها بصدر رحب أو ضيق كلاهمـــا سيـــان .

وأهالي الريف بسطاء في أفعالهم حكماء في تصرفاتهم يزنون الأمور بقسطاس ، وينظرون الى العقبى بعين بصيرة ويفكرون فيما يريدون قبل أن يقدموا عليه ويقتحموا حلبتـــــه .

فلا غروان تركوا البهرجة الكاذبة لسكان المدن وتخلوا عن ترهاتهم وتبرءوا من أباطيلهم . وسكان الريف مرحون وميالون الى المستحسن من المزاح والدعابة ومستظرف الأحاديث والاقوال .

أذكر مرة وقد طلبت من أحد سكان بلدة (. . . . .) أن يسعى في تأسيس (تنور) لعله يمدنا بالخبز الشهي فيخفف من وطأة شظف المعيشة علينا وعلىاخواننا الموظفين والمدرسين الذين يعملون هناك ، فأجاب مشكورا ، وكان التنور حديث القرية مما جعـــل أحـــد الاساتذة الزملاء يقترح علي أن أنظم قصيدة في مـــدح صـــاحب هذا المشروع ليكون على لسان حاله ـــ أي حال صديقي ـــ فنظمت مقطوعة شعرية وقدمتها له باسم صديقي جاء فيها :

العلم صـــاح وأهلـــه من فرط مـــا	جاءوا وحنـــوا للتميـــس ليأكلـــوا
صاحوا باسمك آملـــين تغيثهـــم	فأجبتهـــم بنعـــم وجئـــتتهـــرول
فصنعت تنـــورا أزال طواهمـــو	طـــاب المقـــام بخـــبزه والمـــنزل
للـــه درك مـــن فتى أفعالـــه	أنس الغريـــب ببلـــدة لا تقبـــل
أنا لست أهجـــو أهلها وفعالهـــم	ألذمهم والكـــل منهـــم مفضـــل ؟
لكنني أرثـــي لترك ـــ بلادهـــم	جرداء لا نبـــت بهـــا لا منهـــل

والأبيات فيها مبالغة اذ نظمتها على لسان صديقي الذي كان ينظر الى (القرية) بنظارته السوداء مما أثار حفيظة شعراء البادية علي حتى أنهم أرادوا أن ينقضوا أبياتي ولو فعلوا لاضطررت الى الخوض في معارك هجائية لا يعلم مداها الا الله وقد أخرج منها مغلوبا آخر الامر ، فأسرعت وربطت (العاني) في أحد أعيان البلدة وامتثلت (للحق وما يلحقه) وقمت بذبح خروفين على الطريقية الحاتمية ودعوت للطعام زمرة من أهالي البلدة . وقد سببت لي هذه المأدبة عجزا في ميزانيتي ، وللصديق الحميم (. . . .) اليد الطولى والقدح المعلى في هذه (العلقة) التي مر عليها حين من الدهر .

علـــم الأنســـاب

الكتاب الاول من سلسلة قبائل العرب . تاليف الاستاذ عبد الله سلامه الجهني (٩٠) صفحة من القطع الصغير . مطبعة دار الاصفهاني بجده

علم الأنساب . كتاب أو كتيب بتشديد الياء ـــ بالمعنى الصحيح ظهر حديثا فـــي دنيا التأليف . هذه الدنيا ذات الطول والعرض التي لم تضق ذرعا بأحد من بني آدم من بدء الخليقة حتى نهايتها على ما أعتقد على اختلاف بني آدم في الأفكار والعقول والمبادىء والمثل والعقائد والديانات .

والاستاذ عبد الله سلامة الجهني شاء أن ينضم الى هذه (الجمهرة) من بني آدم « والخيرة فيما اختاره الله » فقدم كتابه الاول (علم الأنساب) الى هذه الدنيا العريضة الفسيحة وهو مؤمن أشد الايمان أن يكون انتاجه الاول لدى (دنيا التأليف) مقبولا يليق بجلالها ومقامها الرفيع .

وجميل من الاستاذ الجهني أن يخصص كتابه ـــ الأول ـــ عن قبيلته (جهينة) القضاعية اليمانية القحطانية . وكنا نعتقد قبل الاطلاع على الكتاب اننا سنجد فيه شيئا جديدا عن جهينة وبطونها وفخوذها وفصائلها وعن منازلها من جبال وآبـــار وصحاري ورمال . وعما بقي من أسماء بطونها وما استجد من أسماء أوجدها الحلف والجوار وعما بقي من أسماء مساكنها العامرة والغامرة ، التي عفاها الدهر حتى أمحت ودرست ولم يبق منها الا الشواهد والأطلال . ولكن الجهني لم يتطرق الى شيء مـــن هذا ، اذ اكتفى بتقديم دراسة سطحية عاجلة عن قضاعة ثم جهينة لم يأت بما كنا نشتاق اليـــه .

وهل في آراء وأقوال علماء الأنساب القدامى من جديد تلك الآراء والأقوال التي حشا (الجهني) بها كتابه حتى غدا في نظري معرضا (للأفكار والآراء) القديمة التي تحتاج الى الغربلة والتمحيص .

مقدمة الكتاب التي عنوانها (نشأة علم الأنساب وتطوره) وهي خير ما فـــي الكتاب ـــ ان كان في الكتاب خير يذكر ـــ منسوخة من مقدمة كتاب (طرفة الأصحاب) لابن رسول التي كتبها الدكتور صلاح الدين المنجد ، وقد أشار الجهني الى ذلك مرة واحدة فقط فقال : ص (٢١) ويقول صاحب مقدمة طرفة الأصحاب : (ومما لا شك فيه

أن المكتبة العربية قد عنيت بتدوين الأنساب عناء كبيرا فقد ألفت مئات الكتب سنذكر بعضها . ولن تجد مثلها في تراث أية أمة أخرى) ألخ .

أما بقية ما نسخه الجهني من مقدمة (الطرفة) فلم يشر اليها مكتفيا بذكاء القارىء وفطنته وعبقريته ولباقته وفراسته يقول الجهني ص (٢٠) : (ومن المقرر المعروف أن الناس في صدر الاسلام كانوا يتعلمون الأنساب كما يتعلمون الفقه وكانوا اذا قصدوا سعيد بن المسيب للتفقه في الدين قصدوا عبد الله بن ثعلبة ليأخذوا عنه الأنساب وكان الخلفاء الأربعة الراشدون أنفسهم وكثير من الفقهاء من أعلم الناس بالأنساب العربيـــــة) .

وهذا ما قاله الدكتور المنجد لفظا ومعنى في مقدمة الطرفة ص (٥) .

ويقول الجهني ص (٢١) : ــ (وفي العصر العباسي كثر اختلاط العرب بغيرهم من الأمم فانتقل علم الانساب من الرواية الى التدوين ولذلك أسباب أهمها الرد على الشعوبيين فيما ألفوه من كتب يذكرون فيها مثالب العرب وعيوبهم ، فألف علان الشعوبي ، وكان عارفا بالأنساب والمثالب منقطعا الى البرامكة ينسخ لهم في بيت الحكمة كتابا في المثالب (فهتك فيه العرب وأظهر مثالبهم) وذكر فيه مثالب قريش قبيلة بعد قبيلة على الترتيب الى آخر قبائل اليمن) .

وهذا نص ما قاله الدكتور المنجد بالحرف الواحد في مقدمة الطرفة ص (٧) وقد أشار الدكتور المنجد في هامش الصفحة الى كتابي (معجم البلدان) لياقوت الحموي (والفهرست) لابن النديم كمصدرين أخذ منهما ما قاله وأرتآه والكتابان آنفا الذكر لم يذكرهما الجهني من ضمن أهم مراجعه .

ويقول الجهني ص (٢١) : ثم جاء عصر التدوين فقيل أول من ألف هذا العلم وضبطه هو الامام النسابة هشام بن محمد الكلبي المتوفي عام ٢٠٤ هـ. والى هــذا ذهب المستشرقون كالاستاذ (ليفي بروفنسال) .

وهذا نص ما قاله الدكتور المنجد في مقدمة الطرفة ص (٨) ولكن بعبارة أوضح ، قال د . المنجد (وقد ذهب صاحب ــ كشف الظنون ــ) بدلا من فقيل أول من ألف . غير أن الدكتور المنجد عاد فأبدى رأيا خلاف هذا في مقدمة كتاب (حذف من نسب قريش) لمؤرج بن عمرو السدوسي ص (٦) طبعة دار المدني بمصر قال ما نصه : ــ (وعلى هذا فان البدء بتدوين الأنساب قد ظهر مع الزهري في الحجاز ودمشق ثم ظهر في البصرة والكوفة . وكان ازدهاره في النصف الثاني من القرن الثاني ، على أيدي سحيم ومؤرج وابن الكلبي ، فيكون ما زعمه حاجي خليفة من أن الذي فتح باب التدوين في الأنساب هو ابن الكلبي ، غير صحيح) .

ومــــن أطرف ما جـــاء في كتاب الجهني تأييده لمن نسبوا (قحطـــان) الى اسماعيل

بن ابراهيم عليهما السلام ، وهذا الرأي على طرافته يحتاج الى الأدلة والشواهد .

فكما أن السيد الجهني لا يحسب من ينسبون قحطان الى أرم بن سام بن نوح أو عابر بن شالخ بن سام بن نوح يستطيعون أن يقدموا براهين علمية ثابتة كذلك فان هؤلاء لا يحسبون الجهني يستطيع أن يقدم لهم ما يؤيد الرأي الذي أخذ به وحسنه .

ولقد فات الجهني عند الكلام عن القبائل القضاعية أن يذكر (قبيلة حرب) و (قبيلة بني زيد) التي تسكن مقاطعة الوشم اذ أن قبيلة (حرب) قبيلة يمانية قضاعية تنتسب الى حرب بن سعد بن خولان القضاعية ، كما يقول العلامة النسابة الامام الهمداني خلافا لما قاله ابن حزم في جمهرته والقلقشندي في نهايته كما أن قبيلة (بني زيد) ينتسبون كما قلنا الى قضاعة باعتراف شيوخ القبيلة نفسها وهذه القبيلة كثيرة الفخوذ والفصائل منها : ــ البيزة والبواريد وآل جماز الخ .

كما أن الجهني قد أسقط كثيرا من أسماء الفخوذ والفصائل الجهنية عند ذكره لها في صفحة ٣٧ من كتابه ومن هذه على سبيل المثال لا الحصر : (العبسان) من (العياشة) من مالك ، والعبسان هؤلاء وذبيان من موسى اسمان يوافقان اسمي (عبس) و (ذبيان) من غطفان العدنانية ولهذا التوافق قال الشيخ حمد الجاسر ما نصه : ــ كانت قبيلتا عبس وذبيان من غطفان العدنانية تجاوران قبيلة جهينة القضاعية القحطانية وقد دخلت هاتان القبيلتان في جهينة بعد الاسلام فصارتا تعدان منها في عهدنا الحاضر لوجود قبيلتين تسميان بهذين الاسمين انظر العدد (٢٦٧) و (٢٦٨) من جريدة اليمامة ــ رد استاذنا الجاسر على كلمة لي بعنوان ــ الدواسر ــ نشرتها جريدة الندوة الغراء .

وقد جاء في تعقيبي على أستاذنا الجاسر ما نصه : ــ (لم لا يكون فخذ ذبيان من بني موسى من جهينة القضاعية الذي فصائله المداجنة والمصلح والهميمات والعطيفات ينتمي الى ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الذين وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لهم : ــ (انتم بنو رشدان) بدلا من غيان ، لا ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان كما ذهب اليه أستاذنا الجاسر ما دام الدليل توافق الاسم فقط) . انظر العدد (٦٩٢) من جريدة ــ الندوة ــ .

وكان الأجدر بالاستاذ الجهني أن يوفي الموضوع حقه ومن أحق منه بالكتابة عن قبيلته التي تنتظر منه وهو أحد أبنائها البررة أن يكتب عنها الشيء الكثير حتى يعطي القارىء فكرة وافية واضحة المعالم عنها من جميع النواحي .

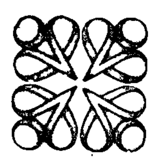
ولكن الجهني لم يقدم لنا سوى أقوال مطروقة لا تسمن ولا تغني من جوع .

ولست أدري ما الغرض من ذكر أشهر القبائل العربية في المملكة السعودية التي نقلها الجهني من كتاب (قلب جزيرة العرب) لفؤاد حمزه ؟ هل يريد أن يحشو كتابه بها لتزداد عدد الصفحات ؟

ان ما ذكره ــ يا سيد عبد الله ، فؤاد حمزه رحمه الله يحتاج الى الغربلة أيضا ، فليتك أتعبت نفسك بعض التعب وعقبت على ما ذكره (فؤاد حمزه) عن كل قبيلة تعقيبا علميا صحيحا ، ولو فعلت لخدمت طلاب المعرفة خدمة جليلة تستحق عليها الاكبار والتقدير .

ثم أحب أن ألفت نظرك أن الذي ألف كتابا عن (بني تميم) هو الشيخ عبد العزيز المزروع الأزهري لا عبد الله بن مزروع كما ذكرت في صفحة (٤٩) من كتابك وهلا ذكرت هذا في الهامش لئلا يظن القارىء أن الكلام من نفس الكلام لفؤاد حمزه عن بني تميم كما يدل عليه السياق ، وفؤاد حمزه ألف كتابه كما هو معروف لديك من مدة بعيدة قبل أن يظهر كتاب عبد العزيز المزروع عن بني تميم .

وأخيرا لا آخرا أود من الاستاذ الجهني أن يتريث اذا أراد أن يؤلف جادا عن القبائل العربية المعاصرة حتى يستطيع أن يقدم آراء جديدة يجد القارىء المثقف فيها بغيته ومرامه والا يكتفي بما قاله النسابون العرب القدامى ويقف عند حده لأن القبائل العربية في العصر الحاضر قد اختلطت أنسابها ودخلت بعضها في بعض بسبب الحلف والجوار حتى غلب اسم القبيلة القوية على القبيلة الضعيفة ، فمن المستحيل أن نجد قبيلة عربية لم تختلط بعناصر أخرى من غير أرومتها وأن (جهينة) لم تسلم من هذا الاختلاط كغيرها من القبائل العربية .



مــــن الكاتـــب ؟

الكتابة هي الكلام المنثور من خطب ووصايا وأمثال ورسائل ومقالات وقصص وقد عرف عرب الجاهلية من الوانها : الخطب والوصايا والأمثال ، فأبدعوا وأجادوا بلا تكلف ولا تصنع ، ونقل لنا الرواة عنهم ما استحسنوه واستملحوه من مثل مرسل وخطبة رائعة ووصية قيمة .

وأعتقد أن العرب الجاهليين كانوا ينشئون الرسائل المنمقة على الجلود والقراطيس كغيرهم من الأمم ، بيد أن الرواة ـــ عفا الله عنهم ـــ قد أهملوا هذه الناحية فلم يعنهم من نثرهم الا ما نقلوه ورووه ودونوه .

ومضى العصر الجاهلي ثم عصر الخلفاء الراشدين وأتى العصران : الأموي والعباسي ، واقتصرت أنواع الكتابة على لونين منها في العصر الأموي ، فلم تتعد الدواوين وانشاء الرسائل ، ثم تطورت في العصر العباسي وكثرت ألوانها فعرف كتاب ـــ بتشديد التاء ـــ ذلك العصر الترجمة والمقالة والقصة (المقامة) .

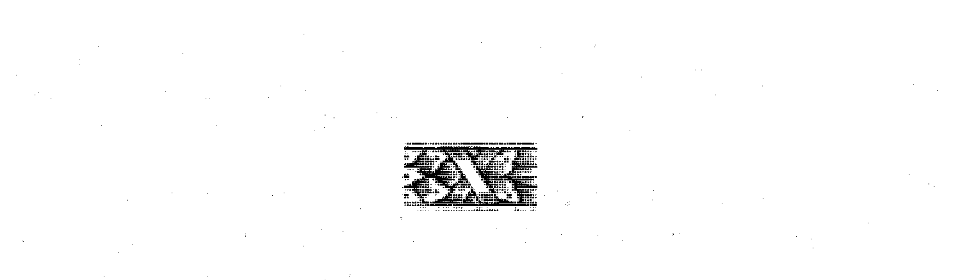
وقد قسم مؤرخو الأدب العربي المعاصرون كتاب العصر العباسي وما بعده من العصور الى أربع طبقات : طبقة ابن المقفع ، طبقة الجاحظ ، طبقة ابن العميد طبقة القاضي الفاضل .

وقد امتازت كل طبقة بخصائص وشيات ، واعتبر المؤرخون الطبقة الرابعة أدنى الطبقات لمغالاة رجالاتها في الصناعات اللفظية .

وكان المرحوم مصطفى صادق الرافعي من رجال الطبقة الرابعة فكثيرا ما نراه يوصي بقراءة كتاب (المثل السائر) لابن الأثير الذي وصل الاعجاب به الى حد كبير ، وان كان الكتاب في الحقيقة لم يحو بين دفتيه الا ألفاظا رنانة تحتها معان هزيلة لا تستأهل القراءة والمطالعة والاهتمام ، واللفظ وحده كما هو معلوم لا قيمة له بدون معنى جميل وخيال مجنح .

والكتابة لا تتطلب من الكاتب الأصيل شرائط وأركانا يجب عليه أن يحذقها كما يراه ابن الأثير ومن حذا حذوه . لانها ـــ أي الكتابة ـــ كما يقول المازني رحمه الله : « فن وأنه لا بد في كل فن من الاحساس والتجويد ولكل امرىء طريقة هو مؤثرهـــا أو موفق اليها لابراز المعنى في أحسن معرض وليست المزية في التأنق والتحبير فان للجمال العاطل أيضا موقعا حسنا وروعة ونضرة ، بل المزية في ابراز المعاني في أحسن

حلاها كيفما كانت وكل ميسر لما خلق له . فواحد يوشي الكلام ويطرزه وثان يرسله غفلا وثالث يدق لفظه ويشف حتى لتتخطاه العين كأنما يعرض لك المعاني في ظروف من النور ، ورابع يفرغ خواطره في قوالب ملئت قوة وجمالا ، وهكذا والاحسان في كل ذلك والقدرة عليه ملكة لا تحصل بالمعاناة ولا تتهيأ بالدرس والتحصيل وان كان هذا مما يقويها وينميها ، ولا نطيل القول ، فأيما رجل زعم نفسه أديبا وخلا كلامه من عناصر الجمال فقل له لست به . »



أقليميـــة بغيضـــة ٠٠!

حمل الي البريد تعقيبا للأخ سعد بن سعود بن جرى على كلمة لي نشرتها الندوة في يوميات العدد ١٤٥٤ عن قبيلة الروسان ، يقول الأخ سعد ما معناه : « الروسان احدى قبائل عتيبة التي تسكن قلب الجزيرة العربية « نجدا » ولها تاريخ في ماضيها وحاضرها يشيد ببطولة أهلها وشجاعتهم وقد استأت من مؤلف كتاب « المنتخب في ذكر قبائل العرب » الذي انتزع عشيرة الروسان من موطنها وقبيلتها ــ هوازن ــ لينسبها الى قبيلة ــ نهد ــ التي تقطن القطر العربي الشقيق حضرموت وأن الكاتب ــ العبادي ــ أراد التضليل بنسبنا وبلبلة أفكارنا وادخال الشك في نفوسنا نحن قبيلة ــ الروسان ــ » . .

هذا ملخص ما يقوله الأخ سعد وقد حذفنا ما لا يليق للنشر لئلا نتهم في قوميتنا وقبل أن أجيب على الاخ سعد أرغب أن أقول : انني لم أقصد الاساءة الى قبيلة الروسان وآمل أن يقرأ ما كتبته عنهم مرة ثانية .

ثم يؤسفني جدا ــ يا أخ سعد ــ أن ألمس من وراء كلمتك أو تعقيبك تفرقة اقليمية بغيضة وانني ــ يا سعد ــ أعذرك لأن الاقليمية متفشية بين كثيرين من شباب بلادي ممن لا ينظرون الى الوطنية الا من ثقب ضيق أضيق من سم الخياط .

فلا عجب أن أراك تغمز وتلمز في تعقيبك ، كأنما تريد أن تقول شيئا مهما فيخونك الافصاح ان بلدي وموطني مكة المكرمة شئت أم أبيت ، وأن والدي وجدي وكل أجدادي قد ولدوا فيها ونشأوا وترعرعوا .

فمكة بلدي وموطني بغض النظر عن قول الشاعر :

شبـــه الجزيـــرة موطـــني وبــــلادي ــــن حضرمـــوت الى حمى بغـــداد

أما الفخر والنسب وأعوذ بالله من الفخر بالأنساب ــ فقد أصبت هذه المرة ولم يخنك ذكاؤك . نعم ، انني من قوم فيهم الاقيال العباهلة .

وهنا أود أن أسأل الأخ سعد قبل أن أطرح القلم جانبا ، ما الذي أغضبه في كلمتي عن الروســـــــان ؟

لنفرض أن كلام الشيخ عبد الرحمن بن زيد رحمه الله هو عين الصواب ، عندما ذكر أن ــ الروسان ــ ينتسبون الى قبيلة ــ نهد بن زيد ــ القضاعية الحميرية فماذا يضيرك يا أخ سعد ؟ ؟

ألا تعلم أن : جهينة ، وبلى ، سكان شمال مملكتنا وبني زيد سكان شقراء ونهد سكان حضرموت ينتمون جميعا الى أب واحد .

وألا تعلم أن فارس عتيبة قبيلتك — وداهيتها في العصر الحاضر هو : محمد ابن هندي بن حميد المقاطي رحمه الله ينتمي الى عشيرة الكرزان ، والكرزان من البقوم بن حوالة بن الهنو بن الأزد من قحطان احدى قبائل كهلان باليمن . وان التحق بعضهم — بالمقطة — من عتيبة ، بسبب الحلف والجوار والاختلاط .

وأخيرا قاتل الله اللجاجة وقاتل من قال في زمن لم تهذب تعاليم الاسلام نفوسنا — نحن العرب .

أمي يا بن الاسكر بن مدلج لا تجعلن هوازنا كمذحج
انك ان تلهج بأمر تلجج ما النبع في مغرسه كالعوسج
ولا الصريح المحض كالمزج



الطبقـــة الرابعـــة

عاتبني صديقي الاستاذ محمد صلاح الدين لأنني جعلت المرحوم صادق الرافعي أحد الادباء المعاصرين من الطبقة الرابعة التي تنتمي الى القاضي الفاضل . وقد جـاء في عتابه ما ملخصه : (انني لم أستطع بحال أن أقتنع بما جاء فيها ـ ويعني كلمتي ـ : من الكاتب ؟ ـ من اعتباركم المرحوم الاستاذ مصطفى صادق الرافعي من أدنى الطبقات ففي ذلك اجحاف بأدبه وغمط كبير لحقه ، وان صاحب وحي القلم ، واعجاز القرآن وتاريخ الادب العربي ، لا يصدر عليه الحكم بهذه السهولة) .

وانني ـ مع احترامي لما قاله الزميل الاستاذ صلاح الدين ـ لا أزال عند رأيي الأول من أن الرافعي رحمه الله يعد من الطبقة الرابعة طبقة القاضي الفاضل التي اشتهر رجالها بالصناعات اللفظية .

ولقد ابتدأ الرافعي حياته الأدبية ـ كما نعرف ـ بنظم الشعر وكان شعره وسطا لا جيدا ولا رديئا ، أي (بين بين) تطغى عليه صور البيان وألوان البديع وضجيج الألفاظ الذي يشبه جعجعة الرحى .

وقد صدر للرافعي ديوانه الأول سنة ١٣١٩ هـ ويقع في ثلاثة أجزاء صغار مشروحا بقلم محمد كامل الرافعي ، وان كان الشارح في الحقيقة هو نفس المرحوم مصطفى الرافعي كما نم عنه اسلوبه ، وهذه احدى مغالطاته رحمه الله .

وهذه أبيات من قصيدة له في الغزل وردت في صفحة ٨٦ من الجزء الاول .

قال رحمه اللـــــه :

ما لهـذا القـوام يخطـر كـــبرا ... كغصون الريــاض حــين تميـــل
ولذلك الــدلال يتــرك مــن عــز ... ذليــلا فكـــل صـــب ذليـــل
عللـيني بالمـوت كيـف تشائــــين ... فأنــي علـى المـات ـ عليـــل
أنا واللــه اشتهي الموت في الحـــب ... ليأسى علي ـ هـــــذا البخيـــل

وهي أبيات ـ مع ألفاظها المرصوصة وتعابيرها المحنطة ومعانيها المبتذلة ـ يقول عنها الشارح ـ وهو الرافعي نفسه تعليقا على البيت الأخير ما نصه :

قال بشار :
أنا واللـــه أشتهي ســـحر عينيــــك ... وأخشـــــى مصـــارع العشــــاق

وكان أبو تمام يقول : ما رأيت شعرا أغزل منه . وليس فيه من الغزل الا أنه جبان غير محب ، وما الجبن من شيم العاشقين . وأين هذا من يشتهي الموت في هوى من أحبه ليذكره فيحزن عليه ويشتد في ذلك حتى جعل نفسه عليلا من أجل هذا الموت ؟ والحق أن بشارا لو قال مثل هذا لجن به أبو تمام .

ورحم الله الرافعي فان بيته الأخير لا يساوي شروى نقير ، فليته لم يتعب نفسه في الشرح والتفسير .

وقد طلق الرافعي الشعر الى غير رجعة حين كسد شعره وانقطع للنثر فقط فكتب في شتى ألوان الكتابة ، وكان رحمه الله في نثره أحسن منه في شعره .

وهذه عبارة من عبارات الرافعي التي يطرب لها أنصاره وان كان الكثيرون منـــا لا يفهمها أسوقها للقراء لعل أحدا منهم يشرحها لي فينال الأجر والثواب .

يقول الرافعي رحمه الله في كتابه السحاب الأحمر : « قد يتغير الرجل في نظر امرأته حتى تقول له : يا أنت الأول ويا أنت الثاني ، ولكني عرفت رجلا قال لامرأته يا أنت الخامسة والخمسين . »

(الندوة) هذا رأي المحرر الفاضل وعليه تبعته وحده . فالرافعي في رأينا أمام من أئمة الادب العربي الحديث . ووجود بعض الهنات والسقطات في شعره أو نثره لا يحط من مقامه شأن كافة الادباء والمفكرين .

أحمد محمد جمال

تعقيب

أنا والرافعي وصلاح

عندما بعث الي زميلي الاستاذ محمد صلاح الدين رسالته التي يعاتبني فيها لأنني جعلت المرحوم صادق الرافعي من الطبقة الرابعة طبقة القاضي الفاضل التي عرف رجالها بالمحسنات اللفظية . عقدت العزم على أن أوضح للزميل الفاضل بعض ما غمض عليه فكتبت كلمة أخرى تعرضت فيها لشعر الرافعي رحمه الله ونثره وأوردت أربعة أبيات من شعر الرافعي اعتبرها شارح الديوان الذي هو الرافعي نفسه من أحسن ما قيل في الغزل والنسيب . وقلت أنها لا تساوي شروى نقير . وقلت أن الرافعي في نثره أحسن منه في شعره لولا تلك الصناعات اللفظية التي أولع بها الرافعي حتى كادت تطغى على أدبه ، وأوردت عبارة للرافعي رحمه الله : (قد يتغير الرجل في نظر امرأته حتى تقول له يا أنت الأول ويا أنت الثاني ، ولكني عرفت رجلا قال لامرأته يا أنت الخامسة والخمسين) . وطلبت من القراء أن يقوموا بشرحها بعد أن استغلقت علي وعجزت عن فهم معناها .

ولم يمض على هذه الكلمة غير وقت قصير حتى قرأت للزميل الفاضل الاستاذ صلاح تعقيبا على كلمتي آنفة الذكر . وقبل أن أدخل في نقاش مع الزميل الفاضل الاستاذ صلاح أود أن أبين للقراء الكرام موقفي تجاه أدب الرافعي رحمه الله .

مصطفى صادق الرافعي أديب كبير من الأدباء المعاصرين الذين لهم مكانتهم المرموقة في دنيا الأدب . وأدب الرافعي أدب رفيع كدنا نفتقده في زمن كثر فيه المنتسبون الى الأدب وهو منهم براء .

ولكن هل يضير الرافعي رحمه الله عندما يكون من رجال الطبقة الرابعة في الأدب العربي طبقة القاضي الفاضل ؟ وهل الطبقة الرابعة غير ذات شأن لأنها رابعة الطبقات ؟ ؟ .

ان مؤرخي الأدب العربي عندما قسموا الأدباء الى أربع طبقات : طبقة ابن المقفع طبقة الجاحظ ، طبقة ابن العميد وطبقة القاضي الفاضل ، راعوا :

أولا ــ الترتيب الزمني .

ثانيا ــ الاتجاهات وتباين المذاهب الأدبية فعصر ابن المقفع سابق لعصر الجاحظ

وعصر القاضي الفاضل أتى بعد مضي عصر ابن العميد ، ثم أن لكل طبقة من هذه الطبقات اتجاهات ومذاهب أدبية متباينة مختلفة .

فهل يؤدي هذا الترتيب والحصر الى تفضيل طبقة على أخرى ؟ ؟ وهل يفيد هذا الترتيب والحصر ، : ــ ان ابن المقفع ورجال طبقته يعتبرون الطبقة الأولى من حيث التجويد والاحسان والابداع ، وأن الجاحظ ورجال طبقته يأتون بعد طبقة ابن المقفع لأن طبقة الجاحظ هي الطبقة الثانية ؟ ؟ هذا ما لا يقره عقل ولا منطق . فاذا فهمنا هذا جيدا علمنا أن الطبقة الرابعة طبقة القاضي الفاضل هي الرابعة في (العدد التسلسلي) وأن لرجالها مدرستهم الأدبية التي اتسمت بطابعها الخاص ، وان لهذه المدرسة محاسنها ومساوئها وكل ما عابه المؤرخون على رجالها مغالاتهم في المحسنات اللفظية التي طغت على أدبهم فأفقدته جماله ورونقه .

ونحن اذا نظرنا الى أدب الرافعي وجدناه يشبه الى حد كبير أدب رجالات الطبقة الرابعة . فالرافعي رحمه الله مولع بالصناعات اللفظية ، يعجبه الجناس ويطربه المجاز ويستهويه السجع والمزدوج .

فاذا أراد رحمه الله أن يصف المطر قال :

الــــروض ظمـــــآن بأنفاســــــــنا	لــــذاك هـــذي الســـحب ترويـــــه
والصيف قد مـــات وراحـــوا بـــــه	فتلـــك عـــين الشـــمس تبكيـــــه
ولاح شـعري فـــي خـــدود الهـــــوا	فلعلــــــع الرعـــــــد ليلقيـــــه

فاستعمل هنا المجازات حتى طغت كما ترى على جمال الأبيات وروعتها وسموها. وشعر الرافعي ونثره يتسم بهذا الطابع الذي لا يستطيع أن ينكره كل من قرأ للرافعي ، فلذا قلنا أن الرافعي يعد من الطبقة الرابعة ، وقلنا أن نثره أحسن من شعره لأنني لم أجد في شعره ما وجدته في شعر علي محمود طه وأمين نخلة وابراهيم ناجي وعبد الرحمن شكري وغيرهم من شعراء المعاني الجميلة والخيال المجنح والانفعالات والشعور والأحاسيس . وقلنا أن نثر الرافعي رفيع وليته سلم من تلك المحسنات والصناعات اللفظية التي لا تتمشى مع أدب هذا العصر . وفهم كثيرون من القراء غير الذي قصدته وذهبت اليه فانهالت علي رسالاتهم تتهمني بعدم النزاهة في حكمي الذي أصدرته على أدب الرافعي وكال لي بعضهم السب والشتم وهددني البعض بالويـــل والثبور و (تخريب الدور) .

من هؤلاء الاخوان : برجس الحميدي العبد الكريم من الرياض الذي فهم من كلمتي عن أدب الرافعي رحمه الله انني أتهمه بالسرقة ــ هكذا ــ لأنني نسبت مقدمة ديوانه الجزء الاول الى محمد كامل الرافعي .

ولو قرأ السيد برجس كلمتي مرة ثانية لوجدني لم أقل هذا ، وانما قلت : ان شرح

ديوان الرافعي للرافعي نفسه وليس لأخيه محمد كامل الرافعي أما مقدمة الديوان فقد كتبها الرافعي ولم يختلف في نسبتها اليه اثنان . ولنعد الى ما كنا بصدده الى التعقيب على ما قاله الزميل الفاضل الاستاذ صلاح بعد أن أوضحنا موقفنا تجاه أدب الرافعي رحمه الله .

لقد استاء الزميل الفاضل مني لأنني لم أنشر كامل رسالته التي بعثها الي وضمنها عتابه واعتبر هذا تعديا مني على حقه وحق القراء الكرام . وفات الزميل انني عندما ضمنت كلمتي بعض فقرات الرسالة ما أردت الا الاقتضاب فقط لأنني أكره الاسهاب الممل ، وخير الكلام (ما قل ودل) . وما أردت ـ يعلم الله ـ الاعتداء على حق الزميل وحق القراء ، وأي شيء يوجب هذا الاعتداء ؟ ؟ .

أما قول الزميل : (وحين يعود الزميل العزيز في عدد الاربعاء الماضي ليؤكد رأيه لا يجد لذلك سبيلا الا أن يدين الرجل بأربعة أبيات من شعره رأى أنها لا تساوي شروى نقير ولو شاركناه رأيه في هذه الأبيات لما استقام هذا الحكم على الرافعي بحال مع موازين النقد الأدبي) .

فهذا خلاف للحقيقة فلو أردت أن أسرد للاخ الفاضل قصائد كاملات مما نظمه الرافعي بله الأبيات والمقطوعات لما خرجنا برأي آخر تجاه شعر الرافعي غير الراي الاول الذي قلناه وصرحنا به .

أما البيتان اللذان قالهما بشار بن برد في خادمته ربابة فهما ضرب من الدعابة والفكاهة والهزل والمزاح وما قاله بشار في ربابة قاله في أتانه التي ماتت بداء العشق والغرام بنفس الأسلوب الفكاهي .

فهل عد نقاد الأدب ما نظمه بشار في خادمته وأتانه من سقطاته وهفواته أم عدوه لونا من ألوان الدعابة التي نروح بها عن القلوب والعقول ؟ ؟ أني أترك الجواب لزميلي الاستاذ صلاح .

وانني لأهمس في أذن الزميل أن الذي قال البيت :

مات الخليفة أيها الثقلان فكأنني أفطرت في رمضان

ليس شاعرا غبيا ولا ضير اذا ألحقنا بشار بن برد بزمرة هذا الشاعر الفحل لأن قائله أبو العتاهية الشاعر المعروف وبشار وأبو العتاهية من طبقة واحدة طبقة الشعراء المحدثين .

والبيت وان كان لا يعجبك ولا يعجبني ولا يعجب بعض النقاد قال عنه ابن

الرشيق القيرواني في كتابه (العمدة) ما نصه : (والى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية حين قـــــال :

مـــات الخليفـــة أيهـــا الثقـــلان

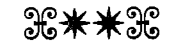
فرفع الناس رءوسهم وفتحوا عيونهم وقالوا : نعاه الى الجن والانس ثم أدركه اللين والفترة فقـــال :

فكأننـــي أفطـــرت فـــي رمضـــان

يريد : أني بمجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت في الافطار في رمضان نهارا وكل واحد ينكر ذلك علي ويستعظمه من فعلي وهذا معنى جيد غريب في لفظ رديء غير معرب عما في النفس) .

ولم يقل ابن رشيق أن قائل هذا البيت غبي واني لأربأ بأبي العتاهية أن يكون غبيا وأعذر الاستاذ صلاح لأنه يجهل قائل البيت كما يظهر لي .

وتحياتي الطيبة للزميل الفاضل وللقراء الكرام .



أزمـــــة فكريـــة

تمر علي ساعات وخلع ضرسي وفقأ عيني وصلم أذني وجدع أنفي وفلغ هامتي وقصم ظهري وقطع يدي ورجلي أهون علي من كتابة جملة واحدة فقط .

أمسك بالقلم وأحاول كتابة (أي كلام) ولو كان هذا الكلام هذرا ككلام المجانين والمرورين ولكن من دون جدوى . وقد يستجيب قلمي بعد الضغط الشديد فيأخذ في تسجيل خطرات نفسي الجياشة وما أن يسير بضع خطوات حتى يحرن ، فيبدو لي أنه تقمص روح حمار الشيخ الذي يقال عنه : انه توقف به فجأة في بداية العقبة الكؤود. فيخيل الي في بعض الأحيان أن قلمي (وان كان لا ذنب له) سبب هذه الأزمة الفكرية فأجذبه من رأسه الجامح وأطوح به من خلف كوة مكتبي الى الشارع ، ثم أتناول الكرسي وأجلس عليه منهوك القوى مبهورا زائغ البصر مضطربا ، أتفصد عرقا ، قد ارتفع أزيز صدري وكأنه مرجل يغلي ، يظن من يراني لأول وهلة أنني عائد من معركة حربية حامية الوطيس ، دائرة الرحى .

وأحيانا يخيل الي أن دواعي هذه الأزمة (رأسي) ولا شيء سواه لأنه منبع الفكر ومصبه فأقبض عليه بكلتا يدي وفي نفسي أن أنكل به وأعذبه العذاب الأليم فما أن يستقر فيهما حتى يصغر في عيني ويصغر فأصفح عنه وأسجح رحمة لصغره وشفقة لحالـــــه .

وانني لو بحثت جادا عن السبب الحقيقي لهذه الأزمة لعلمت في الحال أنها ناتجة عن : شغل يسير أو موت قريحة أو نبو طبع . كما يقوله زميلنا القديم ابن رشيق القيرواني .

وفي احدى هذه الحالات يتحتم علي أن آخذ بوصية المرحوم الفرزدق : (فأركب ناقتي وأطوف خاليا منفردا وحدي في شعاب الجبال وبطون الأودية والاماكن الخربة الخالية ليمنحني الكلام قياده ويسهل على أرصنه ويسرع الي أحسنه) .

ولكن كيف الحصول على الوجناء الحرف في هذا العصر ؟ عصر السيارات والطيارات والصواريخ والأقمار الصناعية . واذا فرض أني وجدتها ـــ أعني الناقة ـــ وأمتطيتها ويممت بها نحو الأماكن الخربة وشعاب الجبال ، أتراني أستطيع أن أنفي عني تهمة العته والخبال ؟ ؟

اذن فلنبحث عن سبب آخر لهذه الأزمة الفكرية أعاذنا الله واياكم منها .

قضيـــــة أدبيـــــة

بيني وبين زملائي الكــرام

قال الحارث بن وعلة الذهلي :

قومـــي همـــو قتلـــوا أميم أخـــــي ‏ ‏ فاذا رميـــت يصيبـــــني سهمـــــي
ولئـــن عفوت لأعفـــون ـــ جـــــللا ‏ ‏ ولـــئن قرعـــت لأوهـــنن عظمـــــي

وان قومي ـــ ولله الحمد ـــ ليسوا كقوم الشاعر الذين قتلوا أخاه أميما كما ترى شر قتلة ، فقومي فاضلون أخيار من الألي قال فيهم الشاعر الحماسي :

لكن قومي وأن كانوا ذوي عـــــدد ‏ ‏ ليسوا من الشر في شيء وان هانـــــا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفــــرة ‏ ‏ ومن اساءة أهل السوء ـــ احسانـــا
كأن ربك لـــم يخلـــق ـــ لخشيتـــــه ‏ ‏ سواهمو من جميع الناس انسانـــــا

ولكن النفس البشرية كما هو معلوم ومعروف امارة بالسوء ، فلقد اعتدى قومي (أعني زملائي المسئولين عن صف الحروف) على كلمتي (أزمة فكرية) المنشورة فـــي عدد يوم الاربعاء الماضي فكادوا يقضون عليها في مهدها غير أنهم كما اتضح لنا رثوا لحالها أو بالأحرى لحال صاحبها ـــ أي كاتبها ـــ الذي أنفق جزءا كبيرا من وقته فـــي تنميقها فاكتفي الزملاء ـــ عفا الله عنهم ـــ بما نالها على أيديهم من (تصحيف وتحريف) هما كالطعن والضرب في العدو والألد .

وكيف أفسر بالله ما وقع لكلمتي آنفة الذكر من أخطاء مطبعية ، وأنا الذي أكتب سائر كلماتي ومقالاتي بالآلة الكاتبة أو بخط يدي ذلك الخط الذي يصفونه الناس بالجمال والناس شهداء الله على خلقه ، وأشكل الكلمات التي أخشى أن تلتبس على مـــن يهمه الأمر .

هل ألام اذا قلت ان زملائي ـــ سامحهم الله ـــ أحبوا أن يداعبوني هذه الدعابة (الخفيفة) (الطريفة) فكادوا من حيث لا يقصدون يئدون (بنات أفكاري) ولكن الله سلم بمنه وكرمه .

جاءت في كلمتي (أزمة فكرية) ألفاظ تبدو في بادىء الأمر غريبة تصك الآذان ولكن لغرابتها وقعا حسنا في نفسي ونفس الكثيرين من عشاق الأدب القديم ، وهذه

الألفاظ علقت بذهني حين أكببت على عيون الأدب العربي القديم أنهل منها وأعل .

(ففلغ رأسي) و (الممرورون) و (أسجح) و (الوجناء الحرف) ألفاظ ينبو السمع والذوق عنها عند زملائي الذين عز عليهم أن أستعمل هذه الألفاظ التي لا تزال تحتل المكان اللائق بها لدى الأدباء أمثالي من أنصار (قفا نبك) و (هل غادر الشعراء من متردم) .

عز عليهم أن أستعملها فاستحسنوا واستملحوا غيرها من الألفاظ (ففلغ رأسي) يجب أن تصير في نظرهم (فلق رأسي) و (الممرورون) يجب أن تصير (المحرورين) ــ هكذا ــ و (أسجح) يجب أن تصير (اسمح) و (الوجناء الحرف) يجب أن تصير (وجناء الحرف) ــ هكذا ــ باضافة وجناء الى الحرف .

ونحن نشرح هذه الألفاظ شرحا وافيا لعل زملائي يؤمنون بما ذهبت اليه واخترته وفضلته وحسنته .

قال الثعالبي ص ٣٤٨ من كتابه (فقه اللغة) ــ فصل في تقسيم الشق ــ : (فلغ الرأس وبعج البطن وعط الثوب وبط الجرح وشق الجيب وشك الدرع وهتك الستر وبزك الدن وفلق الفستقة الخ . .) .

فمن هنا يتضح لنا أن (الفلق) يختص بالفستقة ، ومهما صغر رأسي لا يمكن أن يضارع الفستقة في صغر حجمها وغض جلدتها (قشرتها) وانني لأربأ برأسي ذي الطول والعرض أن يكون فستقة أو بندقة أو صنوبرة .

و (الممرورون) جمع : ممرور وهو الذي تغلب عليه المرة وتهيج به ، وقد أفرد الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) أبوابا للممرورين والمجانين والنوكي والموسوسين عافانا الله واياكم مما ابتلاهم بـــه .

جاء في (لسان العرب) عن لفظة ــ سجح ــ ص ٤٧٥ المجلد الثاني ما نصه : (والاسجاح حسن العفو ومنه المثل السائر في العفو عند المقدرة ــ ملكت فأسجح ــ وهو مروي عن عائشة قالته لعلي رضي الله عنهما يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فأجابته : ملكت فأسجح) أي ظفرت فأحسن وقدرت فسهل وأحسن العفو ، فجهزها عند ذلك بأحسن الجهاز الى المدينة . وقالها أيضا ابن الأكوع في غزوة ذي قرد : ملكت فأسجح . ويقال : اذا سألت فأسجح أي سهل ألفاظك وأرفق.

ومنه قولي في كلمتي (أزمة فكرية) : فما أن يستقر في يدي حتى يصغر في عيني ويصغر فأصفح عنه وأسجح .

أما الوجناء الحرف فهما لفظان يطلقان وصفا للناقة ، وجاء في (لسان العرب) ص ٤٢ المجلد التاسع : والحرف من الابل النجيبة الماضية التي أنضتها الأسفار ، شبهت

بحرف السيف في مضائها ونجائها ودقتها . . وقيل : هي الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل في شدتها وصلابتها ، قال ذو الرمة :

جماليـــــة حـــرف سناد يشلهـــــا وظيف أزج الخطـــو ريـــان سهوق

وقال كعب بن زهير :

حرف أخوهـــا أبوهـــا من مهجنـــة وعمهـــا خالهـــا قوداء شمليـــــل

وقال ابن الاعرابي : ولا يقال جمل حرف انما تخص به الناقة .

وجاء في (لسان العرب) ص ٤٤٣ المجلد الثالث عشر عن الوجناء ما خلاصته : وناقة وجناء : تامة الخلق غليظة لحم الوجنة صلبة شديدة مشتقة من الوجين التي هي الارض الصلبة أو الحجارة ، والأوجن من الجمال والوجناء من النوق : ذات الوجنة الضخمة ، قال كعب بن زهير :

غلبـــاء وجنـــاء علكـــوم مذكـــــرة

هذا ولا يخفى على الزملاء ما قاله أبو الطيب المتنبي من قصيدته المشهورة : عيد بأية حال عدت . .

قال المتنبي :

لولا العلى لم تجب بي ما أجوب بهـــا وجناء حرف ولا جـــرداء قيـــــدود

فهل آمن زملائي واخواني (المسئولون عن صف الحروف) بما ذهبت اليه بعد هذه الشواهد والأدلة ؟ ؟ أرجو ذلك .

وانني لآمل ألا يعرضوا ــ بتشديد الراء ــ مرة ثانية ما يدبجه قلمي ويسطره (للتصحيف والتحريف) وسوف لا أقبل منهم أي عذر مهما كانت الأسباب والدواعي الا اذا قال أستاذنا الكبير أحمد جمال : بأنها أخطاء مطبعية محضة .

وانني سأقدم بعد الآن احتجاجا شديد اللهجة الى السيد رئيس التحرير أطالب فيه بالتعويض عما يلحق كلماتي من ضرر وأذى ، ولن أعفو وأصفح الا اذا استعد الاخوان الزملاء أن يأدبوا لنا مأدبة تحوي ما لذ وطاب ، على أن تقام هذه (المأدبة) في مكان ما من ربوع الطائف الجميل .

فليتنبه الاخوان الكرام ، أو فقل على الكيس وما حواه السلام .

مع الكتـــــب

العـــبر في خـــبر من غـــبر

الجـــزء الثانـــي

تأليف : **الحافظ الذهبي**

تحقيق : فؤاد ســـيد

كلمة عن المؤلف والكتـــاب :

هذا الجزء الثاني من كتاب (العبر في خبر من غبر) أصدرته دائرة المطبوعات والنشر في الكويت من سلسلة التراث العربي .

ومؤلف الكتاب : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهـــبي شمس الدين الحافظ المؤرخ من أهل ميافارقين ، ولد في دمشق ، ورحل الى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان وكف بصره سنة ٧٤١هـ. تصانيفه كثيرة بلغت المائة .

وقد ألف الذهبي كتابه (العبر) اختصارا لكتابه الكبير (تاريخ الاسلام) الذي يقع في ستة وثلاثين مجلدا طبع منه خمس مجلدات ، وجعل فيه (أي العبر) لب تاريخه الكبير ، سواء في الحوادث والوفيات وبدأه بقوله : (هذا تاريخ مختصر على السنوات أذكر فيه ما قدر لي من أشهر الحوادث والوفيات مما يتعين على الذكي حفظه وينبغي للطالب ضبطه ويتحتم على العالم احضاره) .

وأنهاه بقوله : (انتهى ما أردت ايراده من كبار الحوادث وأكابر الناس من العلماء والرواة والآعيان) .

ولقد اعتمد على العبر الكثيرون من العلماء والمؤرخين فكان لهم خير مصدر ومعين .

من هؤلاء : ابن العماد الحنبلي صاحب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) الذي يقع في ثمان مجلدات كبار .

ويمتاز العبر عن (الشذرات) بالاقتضاب الجميل والاختصار المفيد وقد ورد الكتاب في بعض المراجع باسم (العبر في أخبار البشر) .

و (العبر في خبر من غبر) اسم للكتاب وجد على الورقة الأولى من النسخة

الخطية التي اعتمدها في نشر الجزء الاول من الكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد ، والجزء الثاني يقع في (٥٢٤) صفحة من القطع الكبير .

هفوات وغلطات وقع فيها المحقق الفاضل :

لم يسلم الكتاب من الهفوات والغلطات مثله مثل الجزء الأول الذي قام بتحقيقه الدكتور صلاح الدين المنجد وقام بنقده استاذنا الكبير العلامة البحاثة الشيخ حمد الجاسر في مقالات نشرتها له جريدة اليمامة .

والهفوات والغلطات في كتاب (كالعبر) لا يحسن السكوت عليها لما للكتاب من منزلة لدى الباحثين والمؤرخين .

فان قمت بالتعقيب على عمل المحقق الفاضل فلا أريد الا مشاركته في اخراج هذا الكتاب القيم في صورة جميلة خالية من الشوائب والعيوب . وتنحصر الهفوات والغلطات في الآتي :

١ ــ ص ٤ : (محمد بن المثنى العتري الحافظ أبو موسى) ، ضبطالمحقق الفاضل (العتري) بفتح العين والتاء معا ، ويستحسن عدم تشكيلها لأن :

١) العتري : بفتح العين المهملة وسكون التاء نسبة الى عتر وهو بطن من خزاعة.
٢) والعتري بفتح العين المهملة والتاء نسبة الى عتر وهو بطن من الأشعريين .
٣) والعتري : بضم العين وفتح التاء نسبة الى عتر وهو بطن من كلب .
٤) والعتري بضم العين وسكون التاء نسبة الى عجل بن لجيم .
٥) والعتري : بكسر العين وسكون التاء نسبة الى عتر ، وهو اسم لعدة بطون منها : عتر بن معاذ من هوازن ، ومنها : عتر بن جشم بطن من بلي ، ومنها عتر بن عوف من أسد ربيعة ابن نزار ، ومنها : عتر بن عمرو من هذيل ، انظر ٢ : ١٢٠ من كتاب اللباب لابن الأثير .

ومحمد بن المثنى العتري لا يمكن تحديد نسبته الى احدى البطون المشار اليها ، الا اذا كان هناك مرجع لا نعرفه قد اعتمد عليه المحقق ، فلم لا يشير اليه ؟ ؟

٢ ــ ص ٦ : (محمد بن عبد الله المبارك المخرمي) ضبط المحقق الكلمة الأخيرة من الاسم بفتح الميم وسكون الخاء ، قائلا في الحاشية : نسبة الى مخرمة بن نوفل القرشي وهذا وهم منه .

والصواب أنه : نسبة الى المخرم : بضم الميم وفتح الخاء وكسر الراء المشددة وهي محلة ببغداد .

٣ ـ ص ٧ : (ضمرة) اسم ضبط بضم الضاد والمشهور المعروف فتحها .

٤ ـ ص ٢٠ : (مالك بن طوق التغلبي) ضبطت (التغلبي) هنا وفي مواضع أخرى من الكتاب بكسر اللام ، والفتح أصوب عند صاحبي القاموس والصحاح وغيرهما من أصحاب المعاجم اللغوية ، والكسر جوازاً وان اقتصر عليه ابن الأثير في كتابه اللبـــــاب .

٥ ـ ص ٣٥ : اهمل المحقق تشكيل (سمويه) قائلا في الحاشية : كذا في الأصل ولم أعثر في المراجع على هذا اللقب . مع أن المترجم له : اسماعيل بن عبد الله أبو بشر العبدي الاصبهاني سموية : (بفتح السين وتشديد الميم ثم ياء وهاء منقوطة) ورد ذكره في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٣١ وقال عنه صاحب اللباب ١ : ٥٥٦: السمويي : بفتح السين المهملة وتشديد الميم المضومة ثم الواو وفي آخرها ياء آخر الحروف ، هذه النسبة الى اللقب وهو سموية وعرف بها أبو بشر اسماعيل بن عبد الله بن مسعود العبدي السمويي الاصبهاني المعروف بسموية.

٦ ـ ص ٥١ : (ابن ماجة) ضبطها المحقق بالتاء المربوطة ، والمشهور (ماجه) بالهاء الساكنة كما جاء في وفيات الأعيان ٣ : ٤٠٨ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٥٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١٨٩ .

٧ ـ ص ٧٢ : وكان من انشاء الوزير عبيد الله (بن سليمان بن وهب) وضع المحقق جملة : سليمان بن وهب بين حاصرتين ، قائلا في الحاشية ، تكملة من الشذرات والذي في الشذرات هو عبيد الله فقط ، كما جاء في العبر ، انظر ٢ : ١٨٥ من الشذرات .

٨ ـ ص ٧٤ و٧٨ : وردت كلمة (طي) هكذا ، في هاتين الصفحتين وفي مواضع أخرى من الكتاب ، والصواب (طيء) على وزن (ففيعل) من طاء يطوء اذا جاء وذهب ، وأصله طيوىء فقلب كسيد وميت ، فاذا أضيف اليه قلت : طائي . انظر ١ : ١٦١ شرح حماسة أبي تمام للتبريزي وص ٣٨٠ من الاشتقاق لابن دريـــــد .

٩ ـ ضبط المحقق (سحنون) مرة بفتح السين ومرات بضمها ، انظر ص ٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٢ ، ١٨٤ من الكتاب .

وسحنون لقب لأبي سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي الفقيه المالكي و (سحنون) بفتح السين أو ضمها ، وفي فتح السين أو ضمها كلام طويل فهلا التزم المحقق احدى الحالتين: اما الفتح او الضم، أو أشار في الحاشية الى جواز استعمال الحالتين . وانظر وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢ وقضاة الأندلس ص ٢٨ . .

١٠ ــ ص ١١٠ : (أبو أحمد أحمد بن محمد بن مسروق) وفي الشذرات ٢ : ٢٢٦ أبو العباس بدلا من أحمد .

١١ ــ ص ١١٢ : (محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسين) وفي الشذرات ٢ : ٢٣٠ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو الصواب . .

١٢ ــ ص ١٢٢ : (وفيها أخذ القرمطي الركب العراقي) ، وفي الشذرات ٢ : ٢٣٨ : وفيها أخذ طيء الركب العراقي .

١٣ ــ ص ١٤٩ : (عمر بن بحير الهمذاني) وفي الشذرات ٢ : ٢٦٢ الهمداني (بالدال المهملة) نسبة الى قبيلة (همدان) لا الى مدينة (همذان) .

١٤ ــ ص ١٦١ (أحمد بن علي بن الحسين أبو بكر الرازي ثم النيسابوري) وفي الشذرات ٢ : ٢٧٠ أحمد بن علي بن شهريار .

١٥ ــ ص ١٦٩ : (ابن أبي حميضة الشروطي) وفي الشذرات ٢ : ٢٧٥ ابن أبي خميصة الشروطي . .

١٦ ــ ص ١٧٥ : (أحمد بن الحسين بن أحمد بن طالب الدمشقي المشغرائي) وفي الشذرات ٢ : ٢٨١ أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب ، وكذلك في اللباب ٣ : ١٤٤ .

١٧ ــ ص ١٧٦ : (وفيها القاضي أبو عبيد بن حربويه) بفتح الحاء وسكون الراء وفتح الباء والواو وسكون الياء والهاء) البغدادي علي بن الحسن بن حربوية الفقيه الشافعي .

وصحة الاسم كما جاء في اللباب ١ : ٢٨٩ ــ ٢٩٠ : القاضي أبو عبيد علي ابن الحسين بن حرب المصري الحربويي المعروف بابن حربوية (بفتح الحاء وسكون الراء وضم الباء وفتح الياء ثم هاء منقوطة) وهم اسم لجد المنتسب اليه واسمه حرب ويعرف : بحربوية .

١٨ ــ ص ١٩٥ : وفي مواضع اخرى من الكتاب (ابن شنبوذ) : بفتح الشين وتشديد النون وضم الباء والصواب : بفتح الشين والنون وضم الباء ، كما جاء في اللباب ٢ : ٣٠ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٤٢٨ .

١٩ ــ ص ٢١٥ : (أبو الحسن المزين) ، وجاء في الحاشية ما نصه : في طبقات الصوفية للسلمي ٣٨٢ ان اسمه علي بن محمد .

ونحن نضيف الى ذلك ما جاء في الشذرات ٢ : ٣١٦ ان اسمه : علي بن محمد البغـــــدادي .

٢٠ ــ ص ٢٢٥ : جاء في الحاشية تعليقا على كلمة (الهزاني) ما نصه : الهزاني بكسر الهاء وفتح الزاي المشددة وبعد الألف نون ، نسبة : الى هزان وهـــو بطن من العتيك بن ربيعة (اللباب) . .

والصواب : ان بني هزان : بطن من بني عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار لا بطن من العتيك بن ربيعة لأن العتيك في ربيعة اسم أب فقط فهو (هزان ابن صباح بن عتيك بن اسلم من يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار) بطن من عنزة . والعتيك : بطن كبير في قبيلة الأزد اليمانية ، ينسب اليه عتكي ، انظر ٣ : ٢٩ من اللباب وص ٣٤٨ من جمهرة أنساب العرب لابن حزم .

وبنو (هزان) يعرفون في عصرنا الحاضر (بالهزازنة) وهم شيوخ بلدة الحريق.

٢١ ــ ص ٢٣٠ : (وقال أبو عمر بن حيويه) ضبط المحقق (حيويه) بفتح الحاءوالياء وفتح الواو وسكون الياء والهاء معا .

والصواب : (حيوية) بفتح الحاء وتشديد الياء مع ضمها ثم واو وياء مفتوحة وتاء مربوطة ، والنسبة اليه حيويي ، وانظر ١ : ٢٣٣ من اللباب .

٢٢ ــ ص ٢٦٢ : (وفيها شيخ الكوفة أبو الحسن : علي بـــن محمــد بـــن عقبــة الشيباني) وفي الشذرات ٢ : ٣٦٥ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عقبة الشيبانـــــي .

٢٣ ــ ص ٢٦٣ : (وفيها أبو يعقوب الأوزاعي ، اسحاق بن ابراهيم) وفي الشذرات ٢ : ٣٦٦ أبو يعقوب الأذرعي ، وصاحب الشذرات ينقل حرفيا عن كتاب (العبر).

٢٤ ــ ضبط المحقق في غير ما موضع من الكتاب (القرمطي) بفتح القاف وسكون الراء وفتح الميم ، انظر ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ٢٠٤ من الكتاب . والصواب عند النسابين : (القرمطي) بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم ، نسبة : الى المذهب المذموم الذي يعرف القائلون به القرامطة ، نسبوا الى رجل من سواد الكوفة ، اسمه : قرمط ، وقيل حمدان بن قرمط ، ظهروا وعظمت شوكتهم انظر ٢ : ٢٥٥ من اللباب والاعلام للزركلي مادة (قر) . . الطبعة الثانية .

٢٥ ــ ص ٢٧٢ : علق المحقق على كلمة (الطستي) نقلا عن اللباب بقوله : الطستي : بفتح الطاء وسكون السين المهملة وآخرها التاء نسبة الى عمل الطسوت .

والذي يقوله صاحب اللباب : (الطستي : بفتح الطاء المهملة وسكون السين

المهملة وآخرها التاء ، هذه النسبة : الى الطست وعمله ، ولم يقل الطسوت) . لأن الطست لا يجمع الا على (طساس (لا (طسوت) اذ أن أصل الكلمة (طسس) بطاء ثم سينين فاستبدلت السين الثانية بالتاء استثقالا لاجتماعهما في آخر الكلمة .

فاذا جمعت فرقت بينهما الألف فردت السين الى أصلها ، ومثلها (ست) أصلها (سدس) فتقول في تصغيرها (سديسة) . وتقول : (طسيس) و (طسيسة) في حالة التأنيث . . انظر ص ١٠٨ من أدب الكاتب لابن قتيبة ، طبعة المكتبة التجارية بمصر .

٢٦ ـــ ص ٢٨٢ : (عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم الخراساني أبو محمد العدل) وفي الشذرات ٢ : ٣٨٠ أبو محمد العدل .

٢٧ ـــ ص ٢٨٣ : (ابن مندة) ضبطت بالتاء المربوطة ، والصواب : (بالهاء الساكنة) ثم ضبطت مرة ثانية في ص ٢٩٧ من الكتاب حسب المعروف، الشائع الذي ذهبنا اليـــه .

ويعرف بهذا الاسم : ابن منده : محمد بن يحيى المؤرخ . وابن منده : محمد بن اسحاق الحافظ . وابن منده : عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق من أهالي أصبهان ، حافظ مؤرخ . وابن منده : يحيى بن عبد الوهاب ابن محمد بن اسحاق أبو زكريا من أهالي أصبهان أيضا ، مؤرخ حافظ للحديث انظر : وفيات الأعيان ٣ : ٤١٧ و٥ : ٢١٧ وطبقات الحنابلة ٢ : ١٦٧ و٢٤٢ ، وفوات الوفيات ١ : ٥٤٣ .

٢٨ ـــ ص ٢٨٣ : (محمد بن اسحاق الصغاني) ضبط المحقق الصغاني بتشديد الغين ، والصواب : فتحها بدون تشديد ، وانظر ٢ : ٥٦ من اللباب . .

٢٩ ـــ ص ٢٨٦ : (أبو جعفر بن برية) ضبطت كلمة (برية) بتاء مربوطة في آخرها ، واهمل المحقق تشكيلها ، وقال في الحاشية : في الأصل ابن أيوب وما أثبتناه من (عقد الجمان) و (الشذرات) و (تاريخ القضاعي) وذكروا اسمه كاملا : عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم بن عيسى بن الخليفة أبي جعفر المنصور ، ونقول : (ابن بريه) بضم الباء وفتح الراء وسكون الياء وفي آخرها الهاء الساكنة ، هذه النسبة : الى (بريه) وهي (بريهة) أم المنتسب اليها ، انظر ١ : ١١٧ من اللباب . وقد أسماه ابن الأثير : أبا اسحاق محمد بن هارون بن عيسى بـــن ابراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور .

٣٠ ـــ ص ٣٠٤ : (أبو محمد المعقلي أحمد بن عبد الله بن محمد المزني) وفي الشذرات ٣ : ١٨ أحمد بن عبد الله بن محمد المغفلي المزني ، وهو الأرجح على مـــا

أعتقد ، والمغفلي : بضم الميم وفتح الغين وتشديد الفاء المفتوحة وفي آخرها لام نسبة : الى عبد الله بن مغفل الصحابي رضي الله عنه وأرضاه .

٣١ ـ ص ٣٠٤ : (الرفاء : أبو علي حامد بن محمد الهروي) وفي الشذرات ٣ : ١٨ الرفاء : أبو حامد بن محمد الهروي .

٣٢ ـ ص ٣٠٥ : (سنقة : أبو عمرو عثمان بن محمد السقطي) وجاء في الحاشية تعليقا على (سنقة) ذكره صاحب تاج العروس وضبطه بالتحريك .
ونقول : غير أن صاحب اللباب : ضبطه بفتح السين وسكون النون ، فقال : (السنقي) بفتح السين وسكون النون ، هذه النسبة : الى (سنقة) وهو لقب جد أبي عمرو عثمان بن محمد بن بشر السنقي السقطي المعروف (بابن سنقة) .
انظر ١ : ٥٧١ من اللباب .

٣٣ ـ ص ٣٠٦ : وردت هنا (الاخشيدي) وفي مواضع أخرى من الكتاب ، بالذال المعجمة ، والمشهور الاخشيد والأخشيدي ، بالدال المهملة وانظر وفيات الأعيان ٤ : ١٥٣ والاعلام للزركلي ٧ : ٤٤ .

٣٤ ـ ص ٣٠٧ : أبو الفتح عمر بن جعفر بن محمد بن سليم الختلي ، وفي الشذرات ٣ : ٢٢ أبو الفتح عمر بن جعفر بن محمد بن سلم الختلي ، وفي اللباب ١ : ٣٤٥ أبو القاسم عمر بن جعفر بن أحمد بن سالم الختلي .

٣٥ ـ ص ٣٢٢ : ضبط المحقق (ابن جوصا) : بضم الجيم ثم صاد مقصورة وفي ص ٣٣١ ٣٤٣ ضبطها المحقق (ابن جوصاء) بضم الجيم وصاد مدودة في آخرها .
والصواب ما ضبطه المحقق نفسه في ص ١٨١ : عند ذكر وفاة (ابن جوصا) بفتح الجيم وسكون الواو ثم صاد مقصورة في آخره ، انظر القاموس مادة (جوص) واللباب ١ : ٢٥٣ .

٣٦ ـ ص ٣٤٢ : (أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوية) ضبط المحقق الكلمة الاخيرة (حيويه) بفتح الحاء والياء والواو وسكون الياء والهاء وهذا خطأ والصواب : ما أوضحناه آنفا .

٣٧ ـ ص ٣٥٨ : (النجيرمي) قال المحقق في الحاشية نقلا عن اللباب : النجيرمي : بفتح النون وكسر الجيم وسكون الياء آخر الحروف وفتح الراء وبعدها ميم ، نسبة الى نجيرم ويقال نجارم وهي محلة بالبصرة وللفائدة نقول : ان ياقوت الحموي خطأ السمعاني مؤلف كتاب (الانساب) الذي يستدرك عليه ابن الأثير في كتابه (اللباب) وينبه على أغلاطه وأوهامه ، فقال : ـ (أي ياقوت الحموي) انها قرية كبيرة على ساحل بحر فارس بينه وبين سيراف ، رأيتها ، ويسمونها نيرم فيسقطون الجيم ، انظر ترجمة (النجيرمي) في كتاب (معجم الادباء لياقوت) .

وقال ياقوت أيضا في معجم البلدان : ٨ : ٢٧٠ طبعة الخانجي نجيرم : بفتح أوله وثانيه وياء ساكنة وراء مفتوحة ويروى بكسر الجيم وربما قيل : نجارم : بالألف بعد الجيم قال السمعاني : هي محلة بالبصرة ، قال عبيد الله الفقير اليه مؤلف هذا الكتاب : نجيرم : بليدة مشهورة دون سيراف مما يلي البصرة على جبل هناك على ساحل البحر رأيتها مرارا ليست بالكبيرة ولا بها آثار تدل على أنها كانت كبيرة أولا ، فان كان بالبصرة محلة يقال لها : نجيرم فالاسم منقول اليها .

٣٨ ــ ص ٣٥٩ : (الزيدي ، عبد الله بن ابراهيم) ، وفي الشذرات ٣ : ٧٦ الزينبي بدلا من الزيدي .

٣٩ ــ ص ٣٦٠ : (الحسن بن علوية القحطان) ضبطت علوية : بفتح العين وضم اللام ، والصواب : بفتح العين وضم اللام المشددة : نسبة الى علوية وهو جد المنتسب اليه ، انظر ٢ : ١٤٨ من اللباب . .

٤٠ ــ ص ٣٦٥ : (أبو عثمان المغربي ، سعيد بن سالم) وجاء في الحاشية : كذا بالأصل والشذرات وفي ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي ص ٤٧٩ وفي أكثر المراجع أيضا : ابن سلام ، وعند الخطب البغدادي ٩ : ١١٢ : ابن سلام وقيل ابن سالم. ونقول : زيادة في الايضاح نذكر ما قاله صاحب الشذرات وان لم ينتبه اليــه المحقق الفاضل : وقال ابن الأهدل : سعيد بن سلم أو ابن سالم أو ابن سلام النيسابوري ، انظر الشذرات ٣ : ٨١ .

وهناك تطبيع وتصحيف كالآتي :

١) ص ٣٧ : عباءة : بضم العين وهي بالفتح .
٢) ص ٤٠ : وأنت نخرج ، وهي تخرج .
٣) ص ٩١ : وقعات بسكون القاف ، وهي بفتحها .
٤) ص ١٣٩ : مرضة مزمنة اعيى الاطباء دواؤها . وفي الشذرات ١ : ٢٥٤ أعيى الاطباء داؤها .

٥) ص ١٣٨ : كدأب من مضى ومن يكون مثل الدجال الأكبر ، وفي الشذرات ١ : ٢٥٤ الى مقتل الدجال الأكبر .

٦) ص ٢٨٩ : (فدهمه الملعون) (ويعني به الدمستق) ونازل حلب بجيوشه فلم يفوته سيف الدولة ونجا في نفر يسير) . وجاء في الحاشية تعليقا على (ولم يفوته) سيف الدولة : كذا بالاصل ، ونقول : هي مصحفة وصوابها ما جاء في الشذرات ٣ : ٧ (فانهزم منه سيف الدولة) . .

مصـــــادر النقـــــد

١) القاموس المحيط للفيروز أبادي طبعة مصر سنة ١٣٣٠ هـ
٢) الصحاح للجوهري طبعة دار الكتاب العربي بمصر تحقيق الشيخ أحمد عبد الغفور غطار
٣) اللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير (المؤرخ) طبعة القدس سنة ١٣٥٦ هـ
٤) تذكرة الحفاظ للذهبي طبعة حيدر آباد الدين سنة ١٣٣٣ هـ
٥) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٥ هـ
٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي طبعة القدسي بمصر سنة ١٣٥٠ هـ
٧) شرح حماسة أبي تمام للبتريزي طبعة مصر بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
٨) شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي طبعة مصر سنة ١٣٧١ هـ
٩) الاشتقاق لابن دريد طبعة الخانجي بمصر سنة ١٣٧٨ هـ
١٠) وفيات الاعيان لابن خلكان طبعة محمد محي الدين عبد الحميد
١١) طبقات الصوفية للسلمي طبعة الخانجي
١٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم طبعة دار المعارف بمصر تحقيق بروفنسال
١٣) الاعلام للمرحوم الزركلي الطبعة الثانية
١٤) أدب الكاتب لابن قتيبة طبعة المكتبة التجارية بمصر
١٥) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى بتحقيق محمد حامد الفقي
١٦) فوات الوفيات للكتبي طبعة مصر بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
١٧) معجم الادباء لياقوت الحموي
١٨) معجم البلدان لياقوت الحموي طبعة صادر
١٩) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبعة مصر سنة ١٣٤٩ هـ

أنـــا بيشـــس

عنوان لمقالات كنت أنشرها في جريدة الندوة وقد رأيت أن أضم كتابي هذا بعضا منها ولعل فيها : ـ « مرورا سريعا وافيا زاخرا بالملائح والطرف ٠٠ بالحقائق التي تجلو مواقف كانت راسخة في أذهاننا » كما قالته جريدة الندوة في عددها ٦٠١ الصادر في ١٦ / ٧ / ١٣٨٠ هـ٠

الدواســــر

الدواسر قبيلة عربية تعد من كبريات القبائل التي تمثل قسما كبيرا من سكان المملكة العربية السعودية وهي تكون ـ بتشديد الواو ـ جل حاضرة (الأفلاج) التي تعرف لدى المؤرخين العرب القدامى (بفلج) وتقع بين وادي الهدار من أرض اليمامة وموضوع البحث في مقالتي هذه الأفلاج من الدواسر لا الأفلاج التي سبقتني الى التعريف بها في وقتنا الحاضر استاذنا الكبير العلامة الشيخ حمد الجاسر والمرحوم الشيخ محمد البليهد . لقد سألني مرة من تهمه معرفة القبائل العربية المنتشرة في شبه الجزيرة التي تحمل أسماء لم تشر اليها أمهات كتب الأنساب عن أسهل الوسائل التي نستطيع بهـا أن نصل الى معرفة أصولهـا .

قلت له : كلما احتفظت القبيلة بمنازلها ومساكنها القديمة كان الوصول الى معرفة أصولها شيئا يمكن تحقيقه . والواقع أننا لو طبقنا هذا القياس على جل العشائر القاطنة شبه الجزيرة العربية لتحصلنا على حقائق قد تفيد من تهمه هذه الحقائق .

ومن المعروف في العصر الحاضر أن قبيلة الدواسر قبيلة يمانية قحطانية وصحة هذا النسب لا ينكره شيوخ القبيلة نفسها ولهم فيما جاء في كتاب نهاية الأرب للقلقشندي (من أن الدواسر قبيلة يمانية) دليل قاطع لدحض كل ما يخالف هذا القول ولكن هل نستطيع أن نعرف لماذا سموا بالدواسر ؟ ومن دوسر هذا الذي نسبوا اليه ؟ والى أية قبيلة من القبائل القحطانية ينتمي ؟ ومتى نزح من أرض اليمن الى أرض اليمامة ؟

هذه بعض الأسئلة التي تحتاج الى الاجابات الصحيحة الوافية الشافية حتى نكون على بينة وبصيرة فيما لو آمنا بصحة هذا الانتساب .

وقد فاتني أن أشير الى بعض من ألفوا عن القبائل العربية في قلب جزيرة العرب كالمرحوم فؤاد حمزة ومن تطرق اليها كجزء من جغرافية البلاد العربية كالاستاذ صلاح البكري اللذين ألحقا الدواسر بغير أرومتها .

قال المرحوم فؤاد حمزه في كتابه قلب الجزيرة العربية : الدواسر تنقسم الـى قسمين : الأول دوسر بن تغلب والثاني زائد من قحطان .

وقال الاستاذ البكري في كتابه جغرافية البلاد العربية : الدواسر فخذ في عنزة .

وكلا الاستاذين قد أخطآ جادة الصواب وكيف لا ؟ وكتب الانساب لم تذكر لتغلب من الابناء أو الحفدة من سمي بدوسر ، كما أننا نعلم علم اليقين بأن قبيلة الدواسر

ليست في عنزة . وانني اكاد أجزم أن قبيلة الدواسر بطون في قشير وجعدة والحريش بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان من القبائل العدنانية بغض النظر عن اختلاطها بعناصر قحطانية أوجدها الحلف والجوار .

قال المهداني رحمه الله في كتابه صفة جزيرة العرب (الفلج) من العروض على حد تأليف الساكن وهو بلد أربابه جعدة وقشير والحريش . . ثم يقول : فالحريش في واد من الفلج يقال له الهدار فيه نخل وزرع على آبار وسوان من الابل وقد قلت الحريش به وتفرقت وجاور كثير منها باليمن .

ثم يذكر حصون بني قشير حصنا حصنا فيقول في سياق حديثه : أما بلد جعدة بن كعب فان منها عن جانب حصن الأحابشة من قشير والهيصمية لبني صهيب من قشـــــير .

فبنو صهيب هؤلاء الوارد ذكرهم فخذ كبير في قبيلة الدواسر لا يزال معروفا باسمه هذا حتى عصرنا الحاضر ويتفرع الى فصائل عديدة هي : عشيرة آل حسن ومنها الفرجان والشكرة وآل عمار وآل محمد والوبارين والعجالين وآل صبحي وآل حمدان وآل أبو راس والهواملة والهواشلة وآل أبو علي وال ثاقب وال مبارك وآل واسط وآل مانع . وعشيرة المساعرة ومنها : آل أبو سباع والحزمان وآل أبو عقيل

فما رأي استاذنا الكبير حمد الجاسر ، ارجو ان أرى منه قريبا ما يؤيد هـــذا القول أو يبين لنا وجه الصواب وهو العالم النسابة ومن عنده بجدة هذا العلم وله فيه اليد الطولى والقدح المعلى .



وقد كتب العلامة الشيخ حمد الجاسر ردا علي مقالتي « الدواسر » في جريدة اليمامة ما يلـي : ـــ

قبيلة الدواسر ، أصل نسبها وموطنها

مقدمـــــة :

نشرت جريدة « الندوة » في عددها الصادر في يوم السبت الـ ١٧ من شهر رمضان سنة ١٣٨٠ هـ. ـــ مقالا ممتعا للاستاذ علي بن حسن العبادي ـــ من الطائف ـــ عن نسب قبيلة (الدواسر) .

خلاصتـــــه :

١ ـــ أن القبيلة كلما احتفظت بمنازلها القديمة كان الوصول الى معرفة أصول نسبها أمرا يمكن تحقيقه .

٢ ـــ من المعروف في العصر الحاضر أن قبيلة الدواسر قبيلة يمنية قحطانية باعتراف شيوخ القبيلة نفسها ، وبدليل ما جاء في كتاب (نهاية الأرب) للقلقشندي .

٣ ـــ خطأ الاستاذ فؤاد حمزه في قوله في كتابه (قلب جزيرة العرب) ان الدواسر تنقسم الى قسمين : دوسر بن تغلب ، وزايد بن قحطان ، والاستاذ صلاح البكري في كتابه (جغرافية البلاد العربية) حينما قال : الدواسر فخذ من عنزة . واعتمد الاستاذ في تخطئة الاستاذين على :

١ ـــ ان كتب الأنساب لم تذكر لتغلب من الابناء والحفدة من سمي بدوسر .

٢ ـــ وقال : (كما أننا نعلم علم اليقين بأن قبيلة الدواسر ليست من عنزة) .

غير أن الاستاذ العبادي عاد فنقض ما نقل بأنه معروف في العصر الحاضر من أن القبيلة قحطانية فقال : (والذي أكاد أجزم أن قبيلة الدواسر بطون من قثير وجعدة والحريش ، بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان من القبائل العدنانية ، بغض النظر عن اختلاطها بعناصر قحطانية ، أوجدها الحلف والجوار) ثم ساق كلاما للهمداني صاحب كتاب (صفة جزيرة العرب) عن سكان الفلج من الحريش وقشير ، والهيصمية لبني صهيب من قشير) وعلق الاستاذ علي على هذا قائلا : (فبنو صهيب هؤلاء الوارد ذكرهم فخذ كبير من قبيلة الدواسر ، لا يزال معروفا باسمه هذا حتى عصرنا الحاضر ويتفرع الى فصائل عديدة هي عشيرة آل حسن ، ومنهـا

الفرجان والشكرة ، وآل عمار ، وآل محمد ، والوبارين ، والعجالين ، وآل صبحي ، وآل حمدان ، وآل أبو راس ، والهواملة ، والهواشلة ، وآل أبو علي ، وآل ثاقب ، وآل مبارك ، وآل واسط ، وال مانع ، وعشيرة المساعرة ومنها : آل أبو سباع والحزمان وآل أبو عقيل ، والرمضة ، والدموخ ، والحباشة .

ثم طلب الاستاذ أن أبدي رأيي في هذا القول . ولئن شكرته على حسن ظنه بي ، وعلى اتاحة الفرصة لي كي أتحدث في موضوع طالما أبديت أسفي لانصراف الباحثين في تاريخ بلادنا عن الحديث فيه منذ دهور طويلة ، فانما أكون بعملي هذا قد أديت واجبا علي للباحث الكريم الاستاذ الأخ علي حسن العبادي .

من المعروف أن القبائل تحافظ على أنسابها وعنصريتها في الوقت الذي تكون فيه بحاجة الى المحافظة على كيانها ، وأشد ما تكون تلك الحاجة عندما تكون القبيلة في حالة البداوة من التقلب في البلاد ، والتنقل لاكتساب المعيشة لاختيار المراعي ، أو للنهب والسلب ، وعندما تجنح الى الاستيطان تبدأ تلك الميزات تزول شيئا فشيئا حتى تنعدم عندما تتحضر ، فتكتفي حينئذ بالمحافظة على مجرد انتسابها الى أصل من أصول العرب ولا يضيرها أن تختلط حينئذ في النسب بقبيلة أخرى ، بالجوار أو الحلف . وقد تندفع في محاولة التقرب من قبيلة أخرى أقوى منها — الى انتسابها الى هذه القبيلة بمجرد تجاور القبيلتين ، أو توافق اسميهما وقد يحدث هذا الاخير بسبب الجهل بأصل نسب القبيلة .

ومن أمثلة ذلـــك :

١ — ذكر الهجري نوادره ١ ص ٦١ نسخة دار الكتب المصرية الخطية في كلامه عن بطون معاوية بن قشير أنهم (عبيدة وخزيمة ومريح ، وسامة وحيدة . . والحجاج وعمرو هؤلاء كلهم أهل الريب ، وهم بنو معاوية بن قشير . وعبيدة هؤلاء — بفتح العين — كما نص على ذلك في موضوع آخر والريب هو الوادي المعروف الان باسم (الرين) وسكانه الان من (عبيدة) من جنب من قحطان ، قدمت هذه القبيلة في عهد متأخر ، فوجدت سكان الوادي القدماء قد ضعفوا فخالطتهم ، وامتزجت بهم ، فجهل أصل السكان القدماء ، وغلبت اسم القبيلة الحديثة ، فصارت تعرف باسم (عبيدة) من قحطان ، ويقولون عنها : أنها عبيدة بنت مهلهل ، تزوجت في جنب من قحطان فكان هؤلاء من أبنائها .

٢ — عبس وذبيان قبيلتان معروفتان من غطفان ، من العرب العدنانية ، كانتا تسكنان الأودية المنحدرة من شمال الحجاز صوب نجد ، وكانت تجاورهما قبيلة أقوى منهما هي قبيلة (جهينة) القضاعية القحطانية ، وقد دخلت هاتان القبيلتان في جهينة بعد الاسلام فصارتا تعدان منها في عهدنا الحاضر لوجود قبيلتين في جهينة تسميان بهذين الاسمين .

٣ ــ قال الهمداني في كتاب (صفة جزيرة العرب) في الكلام على نسب جعدة ص ٩٠ طبعة الشيخ ابن بليهد رحمه الله : ــ (وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية يضاهي اسمها اسم قبيلة أشهر منها : فانها تكاد أن تتحصل نحوها وتنتسب اليها رأينا ذلك كثيرا) . وقد ذكر مثالا له :

سكان وادي الدواسر وما حوله قديما :

(١) يعرف وادي الدواسر قديما باسم (العقيق) و (عقيق بني عقيل) و (عقيق تمرة) . والعقيق في اللغة هو الوادي الذي يعق سيله الأرض ــ أي يحفرها ــ والاعقة في بلاد العرب كثيرة ، منها هذا ، وقال الهمداني عنه (سمي عقيقا لأنه معدن يعق عن الذهب) . ولعل في هذا الكلام مبالغة ، مع أن الهمداني ذكر معدنه ، ووصف مكانه وأورد فيه حديثا نسبه الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو (مطرت أرض عقيل ذهبا) لكثرة ما فيها من المعادن .

ويضاف الى عقيل ، القبيلة المعروفة من بني عامر من عدنان ، ويضاف الى (تمرة) بلدة لا تزال معروفة فيه .

ومن أقدم من عرف من سكان هذا الوادي (وادي الدواسر) قبيلة جرم من قضاعة من قحطان ، وكندة من قحطان أيضا (انظر صفة جزيرة العرب ص ١٦٦) وفي أول الاسلام امتدت اليه قبيلة بني عقيل ، فجرت بين الصحابي الجرمي أسماء بن قارب وبين بني عقيل خصومة ، فقضى الرسول صلى الله عليه وسلم بوادي العقيق لجرم ومن شعر أسماء في هذه القضية :

وانـي أخـو جـرم كما قد علمتم ... اذا جمعـت عند النـبي المجامـع
فان أنتـم لـم تقنعـوا بقضائـه ... فانـي بمـا قـال النـبي لقانـع

ولكن قبيلة بني عقيل غلبت فيما بعد على العقيق ، بعد ضعف قبيلة جرم فاستولت عليه في أول الاسلام ، وعرف الوادي بها ، حتى زحفت قبيلة الدواسر من الامكنة القريبة من الوادي اليه بعد ضعف قبيلة بني عقيل في عهد ليس من المستبعد أن يكون القرن السادس الهجري ، حينما تحول قسم من تلك القبيلة الى الاحساء ونواحيه ، فأصبح الوادي يعرف بوادي الدواسر .

(٢) الأفلاج ــ وهي جمع فلج ــ بفتح اللام ــ وهو النهر الجاري ــ وسمي بهذا لكثرة أنهاره ، وقد عد الهمداني والاصفهاني كثيرا من هذه الانهار ، وكانت بلاد الأفلاج ذات حضارة وعمران بقيت آثارها الى أول عهد الاسلام ، ولا تزال أطلالها شاهدة بذلك ، وقد ذكر بعض المفسرين انها بلاد الرس المذكورة في القرآن الكريم ، وكانت قبيلة عاد من سكانها الأقدمين ثم سكنها قبائل من قيس عيلان ، بعد انتشار

القبائل العدنانية في نجد ، من جعدة والحريش وقشير وغيرها ، وقد فصل الاصفهاني والهمداني القول عن سكانها من هذه القبائل . (انظر صفة جزيرة العرب ص ١٥٩ وبلاد العرب ص ٣٢ نسختي الخطية) .

وقد سألت الشيخ سعود بن رشود رحمه الله ــ قاضي مدينة الرياض ــ وهو من أهل الأفلاج ، عن سكان وادي (الهدار) في الافلاج ، فقال : سكان الهدار :

١ ــ النتيفات واحدهم نتيفي ــ بضم النون ، وهم من جميلة ــ بضم الجيم من تغلب .

٢ ــ المصارير ــ واحدهم مصروري وهم من تغلب أيضا .

٣ ــ فرقة من الوداعين من الدواسر ــ وقال الشيخ ــ عن سكان الشطبة والضبعية ــ ويعرفان قديما باسم (الشطبتين) وهما واديان في الأفلاج يقعان جنوب الاحمر المعروف قديما باسم وادي (أكمه) قال الشيخ :

ان سكان الواديين يدعون الخضران ــ بضم الخاء ــ واحدهم خضراني ينتسبون الى الدواسر ، من الفرجان ، من آل حسن بن صهيب ، وقال الشيخ ــ رحمه الله ــ : المصارير والخييلات والحقبان والعمور يعرفون بالدواسر القدماء ، قبل آل زايد .

٣ ــ وفي البلاد المجاورة للافلاج من جنوبها فيما بينها وبين المجازة الواقعة في أسفل وادي (حوطة بني تميم) كانت تسكن قبيلة بني هزان ، وقد جاور بني هزان قبل الاسلام وخالطها فخذ من جرم من قضاعة من قحطان ويسمي المؤرخون بني هزان هؤلاء (هزان الاولى) ويفرقون بينهم وبين بني هزان الذين هم من عنزة ، ثم من ربيعة ، من عدنان الذين حلوا هذه البلاد أيضا وخالطوا سكانها الأقدمين فانتشار بني ربيعة في اليمامة وامتدادهم الى هذه النواحي كان قبل ظهور الاسلام بما يقارب القرنين ، وهزان الأولى يعتبرها المتقدمون من العرب البائدة التي سكنت البلاد قبل العدنانيين ، ثم امتدت قبائل من ربيعة فخالطت بني هزان الأولى واحتلت البلاد في عهد متأخر ، وجاورها أناس من بني عامر من قيس عيلان ، ثــم في آخر القرن العاشر الهجري ــ على وجه التقريب ــ نزحت أفخاذ من قبيلة بني تميم من وادي سدير ، فانتشرت في تلك الجهات .

٤ ــ وفي الجهة الجنوبية من وادي الدواسر ، وفيما بين هذا الوادي وبين وادي تثليث ونجران كانت قبيلة وادعة القحطانية القوية تسكن وتنتشر قبيل الاسلام وفي صدر الاسلام خالطها العتيك بن عمران من مازن من الأزد وبنو نهد من قضاعة .

ونستطيع من هذا العرض الموجز عن القبائل التي تسكن هذه الجهات أن ندرك :

١) انها حدود منازل القبائل العدنانية من الجهة الجنوبية .

٢) أن القبائل العدنانية طارئة عليها .

٣) أن السكان القدماء سرعان ما يندمجون في القبيلة الحديثة التي تستولي على بلادهم ، بسبب الجوار ، أو القوة والغلبة ، فتنسب البلاد فيما بعد الى تلك القبيلة حتى تأتي قبيلة أخرى بعد أن تفقد الأولى العناصر التي تحفظ لها كيانها القبلي ، بسبب التحضر فتحل مكانها وهكذا .

ولو تتبعنا تموجات القبائل العربية داخل جزيرتهم لوجدنا هذا الامر عاما شاملا ولوجدناه من الاسباب التي أوجدت التداخل والتشابك بين مختلف القبائل العربية في العصر الحاضر الذي قل أن نجد فيه بين هذه القبائل قبيلة واحدة لم تخالطها عناصر أخرى من قبائل شتى .

ومن هذا نستنتج صحة ما أشار اليه الاستاذ العبادي من أن بعض أفخاذ قبيلة الدواسر من بقايا سكان الأفلاج القدماء من بني صهيب من قشير ، من العرب العدنانية ويؤيد هذا أيضا ان بني صهيب هؤلاء من سكان وادي أكمه ، المعروف حديثا باسم (الأحمر) منذ عهد قديم حتى عهدنا الحاضر . (على ما نص عليه الهمداني ص ٥٩ جزيرة العرب ، وعلى ما هو معروف الآن) وليس من المستبعد أيضا أن يكون الفخذ الذي يسمى الحباشة الذي عده الاستاذ العبادي من عشيرة المساعرة ، هو الأحابشة الذي عده الهمداني من قشير من سكان الأفلاج .

الدواسـر مـن قحطـان :

غير أنه من المستبعد جدا أن نتخذ من هذا قاعدة نبني عليها القول بأن قبيلة الدواسر من القبائل العدنانية ، كما كاد الاستاذ العبادي أن يجزم بهذا في كلامه الذي لخصناه في مقدمة هذا البحث لأسباب نوضحها فيما يلي : —

١ — الدواسر قبيلة قحطانية

(١) قال الهمداني في الاكليل ج ١٠ ص ٧٤ و١٥٥ الى ١٥٧) ان الدواسر من (مرهبة بن الدعام بن مالك بن ربيعة من حاشد من همدان من كهلان ثم من قحطان وذكر من مشاهير رجالها عبد السلام الدوسري وساق شيئا من خبره ، وأورد شعرا نسبة الى أعشى همدان جاء فيه :

ألـم تـر دوسـرا منعـت أخاهـا ... وقـد حشـدت لتقتلـه تميـم
وكـان المرهـبي فـتى حـروب ... يهـش لهـا اذا نكص اللئيـم

(٢) أورد ابن جرير الطبري في تاريخه في حوادث سنة ١٠١ هـ خبر نجدة

قبيلة الأزد لمدرك بن المهلب عندما قامت بنو تميم لمحاربته ، وأورد الطبري الشعر الذي أورد الهمداني بعضه ، منسوبا الى ثابت قطنة وهو :

ألـم تـر دوسراً منعـت أخاهـا — وقـد حشـدت لتقتلـه تميـم
رأوا مـن دونـه الـزرق العوالـي — وحيـا مـا يبـاح لـه حريـم
شنوءتهـا ، وعمـران بن جـرم — هنـاك المجد والحسـب الصميـم
فمـا حملـوا ولكـن نهنهتـم — رمـاح الأزد والعـز القديـم
وخيـل كالقـداح مسومـات — لـدى أرض مغانيهـا الجميـم
عليهـا كـل أصيـد دوسـري — عزيـز لا يفـر ولا يريـم
بهـم يستعتـب السفهـاء حتـى — ترى السفهـاء تردعهـا الحلـوم

فالدواسر من أزد شنوءة على ما يفهم من هذا الشعر ، وأزد شنوءة من قحطان على ما هو معروف .

(٣) يقول نسابو هذه القبيلة في عصرنا الحاضر أن الدواسر ينقسمون الى قسمين الدواسر القدماء وينسبونهم الى تغلب وهم العمور ، والمصارير والخييلات والحقبان ، ويقولون بأن العمور هم أول من سكن الوادي ثم سكن معهم (زائد) الذي ينتسب اليه القسم الثاني من أقسام الدواسر ، ويقولون بأن لزائد أربعة من الولد

١ ــ عمرو أبو البدارين .

٢ ــ سالم أبو الوداعين .

٣ ــ سلمة أبو الغبيثات .

٤ ــ صهب أبو الصهبة . ويعدون منهم صهبة الأفلاج ويعدون هذا القسم من أزد شنوءة ويقول هؤلاء النسابون بأن زائدا هذا يدعى (الملطوم) وينسبون اليه القصة التي يرويها قدماء المؤرخون ، وينسبونها الى عمرو بن عامر بن ماء السماء الأزدي ، وخلاصتها (كما رواها نشوان الحميري في كتاب شمس العلوم ، أن عمرا هذا سمي الملطوم لأن كاهنة أخبرته بخراب سد مأرب قبل وقوعه ، فأراد بيع ضياعه والخروج بقبيلته الأزد من مأرب فقال لولده ثعلبة : اذا حضرت عندي وجوه حمير وكهلان فاني سآمرك بأمر فخالفني فيه ، فاني سألطمك ، فاذا لطمتك فألطمني . فقال لا أفعل . فقال أفعل فهو خير لك . ففعل ما أمره به ، ولطم أباه فسمي الملطوم ، فحلف لا أقام ببلد لطم فيه ، وباع جميع ضياعه ، وخرج بالأزد من مأرب ، فتفرقوا .

(٤) من قبائل الأزد التي تنسب الى عمرو الملطوم قبيلة (وادعة) على ما نقل نشوان عن ابن الكلبي ، فقد قال نشوان (ص ١١٤ منتخبات شمس العلوم) : وادعة حي من اليمن قال فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ووادعة الابطال يخشى مطاعهـا — بكـل رقيـق الشفرتيـن حسـام

واختلف النساب في نسبهم الى اليمن فقال هشام بن الكلبي وغيره : هم من الأزد من ولد وادعة بن عمرو الملطوم بن عامر ماء السماء الأزدي ، وقال نساب همدان هم من همدان من حاشد ، وقال نساب حمير هم من حمير . انتهى ملخصا . وليس من شك في أن وادعة هؤلاء هم الذين يسميهم نساب الدواسر (ودعان) وينتسب اليه فخذ الوداعين . وكانت وادعة هذه قبيل الاسلام تسكن مجاورة لوادي الدواسر من الجهة الجنوبية كما سبقت الاشارة الى هذا ، على ما جاء في كتاب صفة جزيرة العرب ــ وتمتد منازلهم حتى تبلغ الجوف جوف أرحب وبعض فروع هذه القبيلة كانت منتشرة في اليمن في صدر الاسلام ، ثم ان ما ذكره نسابو القبيلة في العهد الحاضر يتفق في جوهره مع مـــا ذكره قدماء علماء النسب . والنسابون المتأخرون يعتمدون على الذاكرة والحفظ ولا ينقلون عن كتب ولذلك فهم كثيرا ما يخلطون بين الاسماء ويحرفونها وينسبون الوقائع الى غير أصحابها ، غير أنهم مع ذلك قد يتناقلون هذه الوقائع ، ويحفظون أصولها ، بطريقة صحيحة من حيث المحافظة على أصل القصة بصرف النظر عما يشوبها من تحريف في الأسماء أو تغيير أو زيادة .

وخلاصة ما تقدم أن قبيلة الدواسر قبيلة يمنية قحطانية جل فروعها ترجع الى الأزد ، ومنها من قضاعة ، وقد سكنت الوادي الذي عرف فيما بعد بها ، وكان سكانه اذ ذاك من العرب العدنانية من عقيل وقشير وجعدة والحريش وغيرهم ــ في وقت ضعف العنصرية القبلية لدى هذه البطون بسبب تحضرهم ، فانتسبت الى هذه القبيلة القوية الطارئة واندمجت فيها بالجوار والولاء ــ وهذه عادة تسير عليها القبائل العربية منذ أقدم العصور ، وقل أن نجد قبيلة من القبائل العربية تخلو من هذا ولا تجد في ذلك غضاضة لتكافىء الأنساب بين القبائل العربية ، قحطانيهـــا وعدنانيهـــا وللامتزاج بين هذين الجذمين منذ أقدم العصور بالتحالف والمصاهرة والاختلاط في المساكن والديار .

تغلب القحطانية لا العدنانية :

ونسبة قبيلة الدواسر الى تغلب لا تخرجها عن القحطانية ، وقد مربنا أن وادي الدواسر ، المعروف قديما باسم العقيق كان لقبيلة جرم من قضاعة ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما تحاكم عنده بنو جرم هؤلاء ومقدمهم الصحابي الجليل أسماء ابن قارب وبنو عقيل قضى به لجرم ، على ما ذكر ابن الكلبي في جمهرة النسب ، وقد نقل ابن الكلبي أن بني حلوان بن عمران بن قضاعة الذين منهم بنو جرم ، يدعـــون تغلب الغلباء ، وقد تقدم ان بني جرم هؤلاء هم سكان الوادي قبل وادعة ويطلق على بني جرم اسم الدواسر ، كما جاء في شعر ثابت قطنة ، كما يطلق هذا الاسم على وادعة وعلى العتيك القبيلتين الأزديتين كما جاء في شعر ثابت أيضا .

ومما تقدم تتضح لنا صحة تقسيم القبيلة الى قسمين ، كما جاء في كتاب (قلب جزيرة العرب) . وكلا القسمين من قحطان ، ولا يمنع هذا من اندماج بعض فصائل من القبائل العدنانية ، ممن كان يسكن هذا الاقليم في هذه القبيلة القحطانية الكبيرة . (١)

---

(١) جريدة اليمامة العددان ٢٦٧ و٢٦٨ في ٩ و١٦ / ١٠ / ١٣٨٠ هـ.

قبيلـــة الدواســـر ؟؟

أشكر أستاذنا الكبير العلامة البحاثة الشيخ حمد الجاسر على الادلاء برأيـــه حول مقالتي التي سبق أن نشرتها لي جريدة الندوة الغراء عن قبيلة الدواسر .

فلقد كتب أستاذنا الكبير الجاسر مقالا وافيا شافيا عن الدواسر في العدد ٢٦٧ والعدد ٢٦٨ من جريدة اليمامة الغراء نلخصه فيما يأتي :

« قد تندفع قبيلة ما في محاولة التقرب من قبيلة أخرى أقوى منها الى انتسابها الى هذه القبيلة بمجرد تجاور القبيلتين أو توافق اسميهما وقد يحدث هذا الاخير بسبب الجهل بأصل القبيلة » .

ومن أمثلة ذلك :

١) قبيلة عبيدة بن معاوية بن قشير العدنانية اختلطت في النسب بقبيلة عبيدة جنب من قحطان التي قدمت الى وادي الريب (الرين) في عهد متأخر فوجدت سكان الوادي قد ضعفوا فجهل أصل السكان القدماء وغلبت اسم القبيلة الحديثة .

٢) كانت قبيلتا عبس وذبيان من غطفان العدنانية تجاوران قبيلة جهينة القضاعية القحطانية وقد دخلت هاتان القبيلتان في جهينة بعد الاسلام فصارتا تعدان منهـــا في عهدنا الحاضر لوجود قبيلتين في جهينة تسميان بهذين الاسمين .

٣) من أقدم من عرف من سكان وادي الدواسر قبيلة جرم القضاعية القحطانية وكندة من قحطان أيضا ثم تغلبت بنو عقيل فيما بعد على العقيق (وادي الدواسر) بعد أن ضعفت قبيلة جرم فاستولت عليه في أول الاسلام ثم زحفت قبيلة الدواسر مـــن الأمكنة القريبة من الوادي في عهد ليس من المستبعد أن يكون القرن السادس الهجري فأصبح الوادي يعرف بوادي الدواسر .

٤) يسكن وادي الأفلاج حاليا بطون من تغلب القحطانية وآل زائد من أزد شنوءة .

٥) الدواسر من مرهبة الدعام من همدان القحطانية كما جاء في الجزء العاشر من الاكليل .

٦) الدواسر من أزد شنوءة من القبائل القحطانية حسبما يفهم من أبيات ثابت قطنة الأزدي التي أوردها ابن جرير الطبري في حوادث ١٠١ هـ. خبر نجدة الأزد لمدرك بن المهلب التي يقول في أولها :

ألـــم تـــر دوســـرا منعـــت أخاهـــا وقـــد حشـــدت لتقتلـــه تميـــم

٧) قبيلة الدواسر قبيلة يمنية قحطانية جل فروعها ترجع الى الأزد ومنها من قضاعة وقد سكنت الوادي الذي عرف فيما بعد بها وكان سكانه اذ ذاك من العرب العدنانية من عقيل وقشير وجعدة والحريش وغيرهم .

هذا ملخص ما كتبه أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر عن قبيلة الدواسر ويعلم الله كم كان لمقاله هذا أطيب الوقع من نفسي المتعطشة الى هذا النوع من أنواع العلوم العربية التي أرجو أن يكلأها الله على يد الشيخ الجاسر وأمثاله القليلين من علماء العرب الاعلام .

وانني أود أن أناقش أستاذنا الجاسر فيما جاء في مقاله ولي أمل كبير بأن يتقبل مني هذا النقاش بصدره الرحب وخلقه العظيم ، كما أرجو منه أن يبدي رأيه مرة ثانية في الموضوع .

١) لم لا يكون فخذ ذبيان من بني موسى من جهينة قضاعة الذي فصائله المداجنة والهميمات والمصلح والعطيفات ينتمي الى ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة من بني غيان الذين وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لهم : انتم بنو رشدان ، انظر ص ٤١٥ من جمهرة أنساب العرب لابن حزم طبعة دار المعارف بمصر لا ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان كما ذهب اليه استاذنا ما دام الدليل توافق الاسم فقط .

هذا وان قبيلة بنيذبيان التي تقطن في عصرنا الحاضر شفا ثقيف وجبل أيا — بتشديد الياء — ووادي العرج بتهامة تنتمي الى ذبيان بن بغيض من غطفان العدنانية كما أخبرني شيخ بلدة قها الشيخ علي بن رابع وان كانت تجاور ثقيفا في السكنى والجوار .

وبنو ذبيان هؤلاء ينقسمون الى ثلاثة بطون : ال مسروح وال بكر وال جابر ويدخل في عدادهم بنو عمر الذين يسكنون وادي حقال بتهامة .

٢) أعتقد أن عشيرة العبسان التي تعد من فصائل فخذ العياشة من بني مالك من جهينة تنتمي الى جد لهم من جهينة اسمه عبس ، هذا اذا علمنا أن قبيلة بني عبس التي تقطن حاليا تهامة وهي قبيلة كبيرة الأفخاذ والفصائل — تنتمي الى عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان باعتراف شيوخ القبيلة نفسها .

٣) ذكر استاذنا الكبير من سمي بدوسر من القبائل القحطانية ولم يذكر :

١ — بني الدوسران بن العمير بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم انظر صفحة ٢٦٢ من الاشتقاق لابن دريد طبعة الخانجي .

ـ بنو سعد بن زيد مناة كانت تلقب في الجاهلية بدوسر انظر ص ٢٨٥ من المجلد الرابع من لسان العرب طبعة بيروت .

٣ ــ دوسر اسم فرس قال الشاعر :

ليست من الفرق البطاء دوسر قد سبقت قيسا وأنت تنظر

انظر ص ٢٨٥ من المجلد الرابع من لسان العرب أيضا .

٤ ــ كتيبة للنعمان يقال لها دوسر قال الشاعر :

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر

انظر ص ٢٦٢ من الاشتقاق لابن دريد .

٥ ــ قلعة جعبر التي بين بالس ووادي الرقة قرب صفين وكانت قديما تسمى دوسر فملكها رجل من بني قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف السبيل ويلتجيء اليها ولما قصد السلطان جلال الدين ملك شاه بن أرسلان ديار ربيعة ومضر نازلها وأخذها من جعبر ونفى عنها بني قشير . انظر ص ١٠٨ جـ ٣ من معجم البلدان لياقوت الحموي طبعة السعادة بمصر .

لذا فانني أكاد أجزم بأن (الدوسر أو الدواسر) لقب تسمى به أية قبيلة قحطانية كانت أو عدنانية متى عرفت بالشدة والقوة وكثرة العدد ، فسميت مرهبة الدعام (مرهبة الدوسر) كما سميت أرحب (بأرحب الكرام) وشاكر (بشاكر القرى) الى آخر هذه الألقاب التي تعتز بها القبائل متى كانت للمدح .

قال الهمداني ص ٧٤ من الاكليل الجزء العاشر : « وتسمى مرهبة الدعام مرهبة الدوسر ، وتفسير الدوسر أن الجيش اذا بلغ اثنا عشر ألفا سمي الدوسر فاذا قاد الرجل هذا المقدار سمي الدوسر ، وقال بعضهم اذا بلغ فيه ألف فارس سمي الدوسر والأول أعم » وقال الهمداني أيضا من الاكليل نفسه ص ١٥٧ : « انقضى نسب مرهبة وهي مرهبة الدوسر سميت بذلك لما كان فيها من الخيل والرجل وقد ذكرنا منتهى العدد فيه وقيل لمبلغ ذلك العدد دوسر لعظيم جاهرته تفخيما له كما قيل في البعير العظيم الهامة المتورم الأخادع دوسر ودوسري » .

فمن هذا يتضح لنا أن كلمة دوسر التي وردت في بيت ثابت قطنة :

ألم تر دوسرا منعت أخاها وقد حشدت لتقتله تميم

عنى بها الشاعر قبيلته العتيك بن الأزد بن عمران بن عمرو بن مزيقياء لا قبيلة بعينها تسمى الدوسر ، وقد سمى الشاعر قبيلته العتيك دوسرا تفخيما لها وتعظيما لكثرة خيلها ورجلها وشدة بأسها .

ثم ألا يحتمل أن تكون بطون بني قشير التي كانت تملك قلعة دوسر أو جعبر بقرب صفين قد عادت الى موطنها الأصلي الأفلاج عندما نفاهم منها السلطان جلال الدين في أوائل القرن السادس الهجري ناقلين معهم اسم (دوسر) القلعة المشار اليها .

واذا صح استنتاجي من أن بني صهيب الذين قال نسابوا قبيلة الدواسر عنهم بأنهم من أزد شنوءة هم في الأصل من قشير بن كعب وعلمنا أن بني صهيب هؤلاء يكونون ــ بتشديد الواو ــ قسما كبيرا من قبيلة الدواسر التي لم يتضح لنا من معرفة أنسابها عدا بني صهيب سوى خمس فصائل تنتمي الى تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي ابن قضاعة وهي : العمور والمصارير والنتيفات والخييلات والحقبان والوداعين اذا صح انتماؤها الى قبيلة وادعة اليمنية القحطانية التي تقطن حاليا ظهران اليمن ، بصرف النظر عن بطن بني سالم الذي جل أفخاذه من بني قشير ، حيث أنهم وبني صهيب يدخلون في عداد بعض .

فهل تكون قبيلة الدواسر : « يمانية قحطانية جل فروعها ترجع الى الأزد ومنها من قضاعة وان بني عقيل وجعدة وقشير والحريش سكان الوادي القدماء قد اندمجت فيها بالجوار والولاء » كما أستنتجه أستاذنا الجاسر أم : « أن قبيلة الدواسر قيسية مضرية عدنانية بصرف النظر عن أختلاطها بعناصر قحطانية من تغلب القضاعية وان (الدواسر) لقب سميت به القبيلة لشدة بأسها وقوة مراسها » .

هذا ما أحبذه وأذهب اليه ، وان كان فصل الخطاب الأخير لاستاذنا العلامة حمد الجاسر الذي شجعني على الخوض في موضوع لا يشق له فيه غبار ، فحياه الله تحية خالصة صادقة . (١)

⌘ ⌘ ⌘

(١) جريدة الندوة العدد ٦٩٢ في ٧ ذي القعدة ١٣٨٠ هـ.

تربـــة البقـــوم

سبق أن زرت تربة في عام ١٣٧٦ هـ زرتها عن طريق الخرمة ـ الغريف ولم أمكث فيها سوى يوم واحد لم أتمكن خلال زيارتي لها حينذاك من الكتابة عنها .

وفي أواخر عامنا الحالي ١٣٨٠ هـ انتدبتني وزارة المعارف للقيام بمهمة هناك فسافرت اليها عن طريق وادي ليـــه .

ولية لها ذكر قديم في كتب السير والأخبار فقد مر بها الرسول عليه الصلاة والسلام حين انصرافه من حنين يريد الطائف وأمر وهو بلية بهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان وفي لية يقول مالك بن خالد الهذلي :

أمـــا لابن عـــوف انما الغزو بيننـــا ثـــلاث ليال غير مغـــزاة أشهـــــر
متى تنزعـــوا من بطن لية تصبحـــوا بقرن ولم يضمـــر لكم بطن محمــــر

ولية مشهورة في وقتنا الحاضر برمانها ذي الحجم الكبير والطعم اللذيذ والعنب الرازقي الذي أعجب به ابن الرومي الشاعر المعروف فقال فيه قصيدته المشهورة ويسكن لية حاليا بطون من ثقيف وبني هاشم من بني الحسن بن علي رضي الله عنهما .

وطريق لية وعرة لا تجتازها السيارات الا بكل صعوبة ولأي ومشقة وعناء(١) . وبعد أن اجتزنا لية وجبالها وهضابها سرنا في أرض سهلة ذقنا فيها طعم الراحة بعدما لاقينا من لية وآكامها ما لاقينا وأخذت سيارتنا تنساب انسياب الأرقم الأرقط لا تكل لها عزيمة ولا قوى ، والتشبيه مأخوذ من بيت شاعرنا السرحان حيث يقول :

يا بنـــت ذي ســـــيارة حســانـــة تنســـاب في الترب انسياب الأرقـــم

حتى وصلنا سديرة وهي آبار للنفعة بطن من برقة من عتيبة فنزلنا احدى مقاهيها للراحة من وعثاء السفر وسديرة أو السديرة معروفة بهذا الاسم من قديم الزمن وهي من مياه بني عامر بن صعصعة حين كان بنو عامر يسكنون تلك الأماكن وفيها يقول الشاعـــــــر :

تساءلني كـــم ذا كسبـــت ولـــم أكد بنفســـي مـــن يـــوم السديرة أفلت

وسديرة في واد أعلاه الصفية وأسفله آبار النير وأوقح وقد جاء في معجم البلدان ج ١ ص ٣٧٦ عن أوقح هذا ما نصه : أوقح ماء بالشراج شراج بني جذيمة بن عوف ابن نصر ، قال أبو محمد الاعرابي : نزلت أم الضحاك الضبابية بناس من بني نصر

---

(١) عندما كانت الطريق غير مفروشة بالقار .

فقروها ضيحا ـ عسلا ـ وذبحوا حمارا وذبحوا لها جرذانة فأكلت وجعلت ترتاب بطعامها ولا تدري ما هو فأنشأت تقول :

سـرت بي فتـلاء الذراعين حـرة	الى ضـوء نار بين أوقـح والغـر
سرت ما سرت من ليلها ثم عرسـت	الى كلفـي لا يضيف ولا يقـري
قعـدت طويلا ثم جئـت بمذقـة	كمـاء السلا بعد التبرض والـنزر
فقلت هرقها يـا خبيث ـ فانهـا	قرى مفلس بادي الشرارة والغـدر
اذا بـت بالنصـرى ليـلا فقل لـه	تأمل أو انظر ما قراك الذي تقـري
أرأس حمار أم فراسـن ميتـة	وكلـه بزعم أن غيـرك لا يـدري

وتقدر المسافة من الطائف الى سديرة بنحو اثنين وخمسين كيلو مترا تقطعها السيارة في ساعة ونصف . (١)

وبعد أن أخذنا قسطا كبيرا من الراحة وعاد الينا نشاطنا يممنا نحو تربة فطفقنا نجتاز أطراف ركبة وركبة بها جبال الا في أطرافها ، وقد روى مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لبيت بركبة أحب الي من عشرة أبيات بالشام » قال مالك : « يريد لطول الاعمار والبقاء ولشدة الوباء بالشام » . وصدق عمر رضي الله عنه ، فهواء ركبة عليل وماؤها عذب قراح وأهلها الأعراب أقوياء أصحاء معروفون بحدة النظر وجودة البصر مفتولوا العضلات ضامروا البطون في أجسامهم قوة وشدة وفي ركبة يقول شاعر عربي قديم :

أقـول لركـب ذات يوم لقيتهـم	يزجـون أنضـاء حوافـي ظلعـا
من أنتم فانـا قد هوينا مجيئكـم	وأن تخـبرونا حال ركبة اجمعـا

وفي طريقنا كانت تمر أمامنا الضباب (جمع ضب) مسرعة الى أجحارها وأعراب نجد لا يزالون مولعين بأكل لحومها ، ولحم الضب لذيذ الطعم عند من تعود أكله وقـد أكلته مرارا بحكم العادة وفي الضباب وأكلها يقول أبو كبير الهذلي :

أكلـت الضبـاب ومـا عفتهـا	وانـي اشتهيـت قديـد الغنـم
ومكـن الضباب طعـام العريـب	ولا تشتهيـه نفـوس العجـم

وبعد مضي ساعة وربع تقريبا من مغادرتنا سديرة اعترضنا جبل (عن) بضم العين لا كسرها كما ينطقه سكان تلك الأماكن . شامخا في الهواء وقد ظهر لنا جبل حضن المشهور قبل أن نصل عنا ممتدا مشمخرا يتحدى الحقب والدهور . وحضن أول حدود نجد وفي المثل (أنجد من رأى حضنا) . و (عن) جبل في جوفه أوشال ومياه معروف

---

١) قبل أن تمهد الطرق وتفرش بالقار (الاسفلت) .

بهذا الاسم من قديم الزمن باق على اسمه حتى وقتنا الحاضر وهو من مساكن بني هلال بن عامر بن صعصعة ، وفي عن يقول الشاعر :

فقالوا هلاليون جئنـــا من أرضنـــا الى حاجـــة جبنا لها الليل مدرعـــا
وقالوا خرجنـــا من القفا وجنوبـــه وعـــن فهم القلب أن يتصدعـــا

والقفا جبل لبني هلال أيضا حذاء عن وحذاءه جبل آخر يقال له بس بضم الباء ، وقد بقي اسم عن واندرس اسم القفا واسم بس مع انهما جبلان حذاء عن يعرفان فـــي وقتنا الحاضر لدى سكان تلك الأماكن من قبيلتي البقوم وبني الحارث بفاس وساق .

والبقوم قبيلة يمانية قحطانية احتلت منازل بني هلال من مدة ليست بالقريبة وقد جاء في لسان العرب والقاموس أن (البقم) هكذا ضبطت في الكتابين اسم قبيلة من العرب ، مع أن أمهات كتب الأنساب التي بين أيدينا لم تذكر شيئا عن قبيلة البقم أو البقوم كما تلفظ حاليا .

بيد أن محمد بن حبيب المتوفي عام ٢٤٥ هـ. قد تطرق الى ذكر قبيلة البقوم في كتابه (أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام) الذي نشرته مكتبة الخانجي ضمن مجموعة نوادر المخطوطات .

قال ابن حبيب ص ٢٣١ المجلد الأول من نوادر المخطوطات عن اغتيـــال الشنفري ــ بفتح الراء ــ الأزدي الشاعر الجاهلي ما نصه : ــ (وانه أي الشنفري اقعدت له رجالا من بني الرمد من غامد يرصدونه فجاءهم للغارة فطلبوه فأفلتهم فأرسلوا عليه كلبا يقال له ــ حبيش ــ فقتله وانه مر برجلين من بني سلامان فأعجله فراره عنهما فأقعدوا له أسيد بن جابر السلاماني وحازما البقمي من البقوم من حوالة بنو الهنو بن الأزد) .

فمن هنا يتضح لنا أن البقوم لا البقم كما جاء في القاموس ولسان العرب اسم قبيلة عربية معروفة من قديم الزمن حتى عصرنا الحاضر وانها بطن من بطون القبائل الأزدية القحطانية أو بالأحرى من حوالة بني الهنو بن الازد كما يقول ابن حبيب .

وقبيلة البقوم تنقسم حاليا الى بطنين : المحاميد ووازع .

ويتفرع المحاميد الى : موركة ، مرازيق ، سميان ، كرزان ، الدهمة وهذيل .

ويتفرع وازع الى : الكلبة ، القروف ، رحمان والدغاغلة .

ويتفرع الموركة الى الأفخاذ الآتية : الرواجح ، القواودة ، العبيدات ، الطريفات الهملة ، الفلاتين ، البحان ، اللهبة وبنو سنان .

غير أن قبيلة البقوم لم تسلم من الاختلاط بعناصر عدنانية وقحطانية من غير

أرومتها كغيرها من القبائل العربية المعاصرة . فالمرازيق من العجمان من قبيلة يام الهمدانية والقواودة من سبيع الحدارية من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، والعبيدات من عبيدة جنب من قحطان ، والطريفات من سبيع الخرمة من بني عقيل بن كعب والهملة من قبيلة الدواسر ، والجبلان من مطير وان كان الجبلان في الأصل بطن ينتمي الى قبيلة تميم المضرية العدنانية ، وبنو سنان من النخشة من أفخاذ النفعة من قبيلة عتيبة المعروفة في القديم بهوازن وأعتقد أيضا أن الكلبة تحريف لاسم قبيلة كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة التي كانت تقطن حضنا في العصور القديمة .

وأخيرا وصلنا تربة بعد أن سارت بنا السيارة من سديرة زهاء ساعتين قطعنا فيهما ثلاثة وسبعين كيلو مترا . (١)

وتربة معروفة من قديم الزمان لم يتغير اسمها سوى النطق به فالمعاجم القديمة تضبطه بضم التاء وفتح الراء وينطقها أهلها في الوقت الحاضر بفتح التاء والراء معا وفي الأمثال « عرف بطني بطن تربة » قال الأصمعي : « تربة واد للضباب طوله ثلاث ليال فيه النخل والزرع والفواكه ويشاركه فيه هلال وعامر بن ربيعة » .

ونحن اذا نظرنا الى قول الأصمعي علمنا أن الخرمة وضواحيها كالسلمية والدغمية والوطاة وأبو جميدة كانت في قديم الزمن جزء لا يتجزأ من وادي تربة ، والا كيف يقدر الأصمعي طوله بثلاث ليال ومما يؤيد هذا الاستنتاج كون اسم الخرمة محدث ليس له ذكر في المعاجم القديمة .

وصدق الأصمعي رحمه الله فان تربة غنية بفواكهها الغضة وتمورها الجيدة وقد رأيت فيها من أشجار الليمون والبرتقال واليوسفي ما لا يحيط بها الحصر والحد حتى يخالها من أقبل عليها غابات من الخمائل البرية وقد أخبرني الأخ ابراهيم الغول وكيل الوحدة الزراعية هناك أن شجرة الليمون الواحدة ببستان الشيخ محمد باحمدين قد بيع محصولها في العام الماضي بألف ريال . (٢)

وسكان تربة حاليا البقوم لا يشاركهم فيها أحد من القبائل العربية ، ويقطن العلاوة قرية تبعد عن تربة بنحو ست كيلو مترات بعض من الاشراف من بني الحسن ابن علي رضي الله عنهما .

وأهالي تربة أفاضل أمجاد ذوو سجايا حميدة وأخلاق عظيمة يحبون الغريب ويحتفون به ويبادرون الى اكرامه والترحاب به .

---

(١) مثل أن تفرش الطرق بالقار (الاسفلت) .

(٢) حينما كانت الالف من الريالات لها قيمة ووزن .

عالـــم مـــن حـــبرون

من بعد الفتوحات الاسلامية العظيمة التي باركها الرسول عليه الصلاة والسلام وجهز جيوشها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ورفع رايات هذه الجيوش عالية خفاقة على كل صقع من بلدان العالم عمر الفاروق رضي الله عنه على أيدي رجالات العرب المسلمين المؤمنين أمثال سيف الله خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبي عبيدة عامر ابن الجراح رضوان الله عليهم أجمعين . . الى أن اتسعت دولة الاسلام العربية وانضم تحت لوائها جميع الأقطار التي في آسيا وافريقيا بله أوربا ، كانت فلسطين ولا تزال جزءا لا يتجزأ من أرض العرب .

ومرت السنون تلو السنين ، وهي تعصف بصفوف العرب علها تجد بينها ثغرة يستطيع أن يلج منها أعداؤهم من الافرنجة والشعوبية . وحدثت الثغرة وسقطت الدول الاسلامية العربية في أيدي الاعداء دولة دولة .

ولم يكف الأعداء ما غنموا واستولوا عليه من حضارات خالدة وآثار تالـــدة وذخائر ونفائس وجنات وارفات وقصور شاهقات بل امتدت أيديهم الآثمة الى جزء مقدس من الوطن العربي الى فلسطين الأرض التي بورك حولها . ومن هؤلاء الذين امتدت أيديهم (تبت أيديهم) الى الارض المقدسة المباركة ؟ انهم شرذمة من يهود أضعف وأجبن خلق الله على أرضه ، من اذا رأيتهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) .

ولكننا ـــ نحن العرب ـــ سنضرب ضربتنا القاضية عما قريب بمشيئة الله حتى يرحل اليهود عن أرضنا يجرون أذيال الخزي والعار والخيبة والشنار .

وحبرون أو بلد الخليل عليه الصلاة والسلام من مدن فلسطين الحبيبة زارها ابن بطوطة في أوائل القرن الثامن من الهجرة فقال عنها : « مدينة الخليل هي مدينة صغيرة المساحة كبيرة المقدار مشرقة الأنوار حسنة المنظر عجيبة المخبر في بطن واد ومسجدها أنيق الصنعة محكم العمل بديع الحسن سامي الارتفاع مبنى بالصخر المنحـــــــوت » .

الى أن قال : « ولقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الدين الجعبري أحد الصلحاء المرضيين والأئمة المشهورين » .

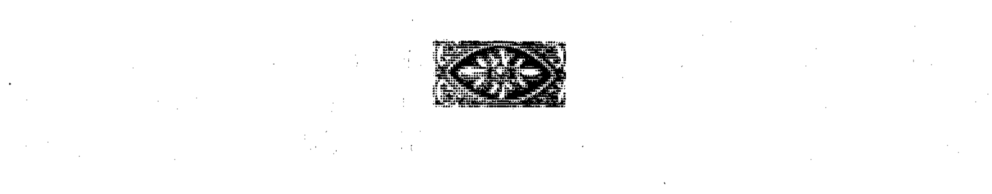
فمن هو الجعبري ؟ : « انه الشيخ برهان الدين ابراهيم بن عمر بن ابراهيم

العالم العلامة المقرىء الشافعي الربعي الجعبري شيخ بلد الخليل صاحب التصانيف المتقنة في القراءات والحديث والأصول والعربية والتاريخ .

ولد الشيخ برهان الدين بقلعة « جعبر » من أرض العراق عام ٦٤٠ هـ. ثم هاجر الى بلدة الخليل من أرض فلسطين وبقي فيها الى أن توفي عام ٧٣٢ هـ. وللشيخ برهان الدين مؤلفات تربو على المائة » .

هذا ما قاله عنه ابن العماد ولا يزال حفدة الشيخ برهان الدين الجعبري يقطنون الخليل الى عصرنا الحاضر وأعرف منهم الأخيار والأفاضل والاعيان ، ولا غرو فانهم سلالة بيت علم وفرع أرومة طيبة طاهرة .

وليت شعري هل بقي في دمشق الفيحاء أحد من سلالة (ابن تيمية) معاصر الشيخ برهان الدين أم عفا عليهم الزمن كما عفا على كثير من سلالات بيوت العلم والتقوى والحسب والنسب .



أخطـــاء شـــائعة

هناك أخطاء املائية شائعة تمر علينا مر الكرام ونحن نقلب صفحات الجرائد والمجلات ، أخطاء يستعملها عامة الكتاب ان لم تكن الخاصة منهم ، وهل يضير الكاتب مهما كان مركزه الأدبي والعلمي أن يستعمل خطأ مشهورا . وفي المثل (خطأ مشهور خير من صواب مهجور) هذا ولا سيما اذا علم الكاتب أن جل قرائه قراء تسلية يشترون الصحف ليلموا بأخبار المجتمع وليعرفوا من سافر ومن عاد من أعيان البلاد ووجهائها وليطلعوا على نتائج الدوري العام لكرة القدم مثلا ، وماذا كسبت الوحدة من نقاط ؟ وماذا سجلت من اهداف ؟ ولا عجب ان قلت أن ١٠ ٪ فقط ممن يشترون الصحف اليومية هم الذين يقرأون يوميات الصحيفة والمقالات الأدبية التي تدبج بأقلام مشاهير الكتاب .

هذه بعض مبررات تشجع الكاتب على الاهمال وعدم المبالاة وكيف لا ؟ وهو يؤمن في قرارة نفسه أن لا يجد من يحاسبه الحساب العسير على غلطاته وهفواته وسقطاتـــــــه .

من هذه الأخطاء الاملائية الشائعة كتابة (الالى) بمعنى الذين بواو ، وهو خطأ وقع فيه كثير من الكتاب في عصرنا الحاضر ، قال ابن هشام في التوضيح : « ولجمع المذكر العاقل كثيرا ولغيره قليلا ــ الألى ــ مقصورا وقد يمد » كقول الشاعر :

أبـــى اللـــه الشم الألاء كأنهـــم سيوف أجـــاد القين يوما صقالهـــا

وقال الشيخ خالد الأزهري في التصريح : (الالي بوزن العلي وتكتب بغير واو قاله الموضح في شرح اللمحة) وقال الشيخ الصبان في حاشينه على الأشموني (قوله الالي يلزمه أل (فلا يشتبه و ــ الى ــ الجارة ولهذا تكتب بغير واو كما في التصريح عن ابن هشام بخلاف ــ أولى ــ الأشارية فتكتب بواو بعد الهمزة لعدم (أل) فتشتبه بالى الجارة) .

وكذلك يخطىء بعض الكتاب في (لا) اذا اتصلت (بأن) فهي تظهر اذا لم تكن عاملة في الفعل وتدغم ما كانت عاملة فيه فتكتب « أحببت الا أقول ذلك » و « علمت أن لا تقول ذلك » لأن فيه ضميرا ، كأنك أردت : « علمت أنك لا تقول ذلك » و « لئلا يعلم أهل الكتاب أنهم لايقدرون على شيء » قال ذلك ابن قتيبة رحمه الله في كتاب تقويم اليد ، وسأوفي هذا الموضوع حقه بمشيئة الله في مقالات أخر عن الأخطاء الاملائية .

كلمـــة صريحـــة

من مدة ليست بالبعيدة قال السرحان في سياق حديثه عن أدب الشباب ما قاله ونعته بالفجاجة والضحولة مما أثار حفيظة الشباب عليه فشنوها حربا عوانا لا هوادة فيها على السرحان وأشباهه من شيوخ الأدب الذين أفنوا شبابهم في الدرس والتحصيل والقراءة والاطلاع حتى شقوا طريقهم المحفوف بالأشواك الى القمة بعد لأي ونصب .

شن الشباب حربهم لا لشيء وانما للدفاع عن كرامتهم التي تجرأ هذا السرحان فمسها بالسوء والتجريح وهم كما يرون أنفسهم برآء من كل تهمة ، واعتبرنا هذا التهجم من الشباب على شيخ من شيوخ الأدب رعونة وطيشا ونزغات صبا فدعونا الله أن يمسح ما بهم أنه سميع مجيب .

وبالأمس القريب طالعتنا مجلة (قريش) في عددها الصادر يوم ١٦ رجب تحمل بين دفتيها شيئا يسمونه شعر الشباب . . فرأينا أبياتا تمثل كلمات مرصوصة لطالب جامعي مهندس وأديب وشاعر وفنان قد اختارها محررو الصفحة لأنها كصفحة مـــاء رقراق ينساب في عذوبة وجمال كما يقولون .

قرأت الأبيات للمهندس والاديب والشاعر والفنان الى آخر هذه الألقاب فألفيتها سخيفة سقيمة غير صحيحة الاوزان لأن شاعرنا أراد أن يساير الشعر القديم المقيد بالقافية والروي والتفعيلة ، وجميل من شاب جامعي يقتفي أثر المتنبي والبحتري وابن الرومي والشريف الرضي ويستنكف من مسايرة الشعراء المتحررين كما يقولون عنهم — كالبياتي والقباني وغيرهما . وكان الأجدر بشاعرنا أن يلم بعلم العروض قبل أن يطرق هذا اللون من الشعر ورحم الله الراجز حين قال : الشعر صعب وطويل سلمـــــه .

قرأت من أبيات شاعرنا المختارة قوله :

هاجتـــني فـــي الهـــوي ذكـــــراك   وشاغلتـــــني في الدجى عينـــــاك

ما معنى هذا الكلام ؟ هل تشاغل عين الحبيبة الصب المتيم في الظلام ؟ أظن لا . . الا اذا كانت هذه الحبيبة من نوع القطط الرومية .

ولو قال « وشاغلتني في الدجى سناك » لغفرنا له فربما تكون محبوبته زنجية من زنوج أمريكا .

وهل سلم وزن البيت ؟ انه غير سليم لأن أبيات شاعرنا فيها شيء من بحر الكامل ذي العروض (متفاعلن) والضرب (متفاعل) كما يدل على ذلك وزن البيت الآتـــي :

كـــان الزمان حبيبتي وقت الضحـــى   أما المكـــان فلا يضـــم ســــواك

وان دخله من الزحاف الاضمار فتحولت عروضه من متفاعلن الى مستفعلن والغريب أن هذه الأبيات المختارة وعددها خمسة غير صحيحة الوزن سوى البيت (كان الزمان حبيبتي . . .)

ولندع هذه الأبيات جانبا لنقرأ أبياتا أخر تذكرنا بأنشودة الأطفال (تري رري رته) ملئت بالاخطاء والتفاهة والركاكة ، يقول شاعرنا لا فض فوه :

مــــا لــــي ومــــا لقلبــــي   لا يستقـــــــر بجنـــــبي
عنيـــد يـــدق بصـــدري   يهفـــو الــــى الحـــــب
حـــين يـــرى الجمـــال   يصيـــح يـــا ربـــــي

يا هؤلاء دعوا الشعر حتى تنهلوا من منهل السرحان والعواد وحسين عرب وحمزه شحاته وارحمونا رحمكم الله من هذا الهراء الباطل .



صـــرارة لا ســـرارة

جاء في لسان العرب ص (٤٥٣) من المجلد الرابع كلمة صرر بما نصه : — (ورجل صرور لم يحج قط وهو المعروف في الكلام وأصله من الصر الحبس والمنع وقد قالوا في هذا المعنى : — صروري فاذا قلت ذلك ثنيت وجمعت وأنثت ، وقال ابن الاعرابي : — كل ذلك من أوله الى آخره مثنى مجموع كانت فيه ياء النسب أو لم تكن ، وقيل : — رجل صارورة لم يحج ، وقيل : — لم يتزوج الواحد والجمع في ذلك سواء وكذلك المؤنث والصرورة في شعر النابغة : — الذي لم يأت النساء كأنه أصر على تركهن ، وفي الحديث لا صرورة في الاسلام . وقال ابن جني : — رجل صرورة وامرأة صرورة ليست الهاء لتأنيث الموصوف بما هي فيه وانما لحقت لاعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية ، فجعل تأنيث الصفة امارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة . وقال الفراء عن بعض العرب : — قال : — رأيت أقواما صرارا — بفتح الصاد — واحدهم (صرارة) . وقال بعضهم قوم صوارير جمع صارورة ، قال : — ومن قال صروري وصاروري ثنى وجمع وأنث وفسر أبو عبيد قوله صلى الله عليه وسلم : — لا صرورة في الاسلام ، بأنه التبتل وترك النكاح فجعله اسما للحدث ، يقول : ليس ينبغي لأحد أن يقول لا أتزوج ، يقول هذا ليس من أخلاق المسلمين وهذا فعل الرهبان وهو معروف في كلام العرب . ومنه قول النابغة :

لــو أنهـــا عرضـــت لاشـــمط راهـــب عبـــد الالـــه صـــرورة متعبـــد

يعني الراهب الذي قد ترك النساء . وقال ابن الأثير في تفسير هذا الحديث : — وقيل أراد من قتل في الحرم قتل ولا يقبل منه أن يقول : أني صرورة ما حججت ولا عرفت حرمة الحرم . قال وكان الرجل في الجاهلية اذا أحدث حدثا ولجأ الى الكعبة لم يهج . فكان اذا لقيه ولي الدم في الحرم قيل له : — هو صرورة ولا تهجه) .

فمن هنا يتضح لنا أن كلمة (سرارة) التي تساءل عنها الاستاذ عبد الله أبو السمح في مقاله المنشور في العدد (٧١٧) من جريدة (البلاد) الغراء ما هي الا تحريف لكلمة (صرارة) التي تطلق على من لم يحج قط ، وهي لفظة عربية فصيحة متى نطقت بالصاد . وقد أطلقها المحدثون تجاوزا على من لم يحظ بزيارة المدينة المنورة الا للمرة الأولى . واني لأسأل السيد أبا السمح لماذا كتب (سرارة) بالسين — هكذا مع أننا نحن الحجازيين كما أعرف نلفظها بالصاد حسبما وردت في أصولها القديمة ، وله تحياتي واحترامـــــي .

الطــــول والقصـــــر

المعروف لدى العامة من الناس أن الطويل من الرجال قلما سلم من الحماقة والبلاهة والغفلة كما أن القصير منهم قلما أعوزه الذكاء والفطنة والدهاء حتى قالوا في أمثالهم : « كل طويل هبيل » و « القصير حكمة أو نقمة » . . والهبيل في لغة العوام الأهبل أي فاقد العقل والتمييز .

ويستدلون على ما يرمون به الطوال من خبل وعته ببيتين من الشعر تنبئك ركاكتهما بأنهما من بنات أفكارهم .

قالـــــوا :

وفـــي التـــوراة انـــا قد وجدنــــا — طـــوال القـــوم ليس لهم عقـــول
وفـــي الانجيـــــل انـــا قد قرأنــــا — بأن لا يستـــوي عقـــل وطـــول

والحقيقة انهم مخطئون فيما ذهبوا اليه واستدلوا به ، فكم رجل طويل شابه العباس بن عبد المطلب في عظم جسمه وصفاته وسماته وعقله وأخلاقه وشرفه وأصله ، وكم رجل قصير كان (هبنقة) القرن العشرين في عيه وحصره .

وان العرب ترى خلاف ما تراه العامة فتعجب بالطوال من الرجال وتمدحه وتصفه بالصفات الحميدة قال جرير بن عطية الخطفي :

تعالوا ففاتونـــا ففي الحكم مقنـــع — الى الغر مـــن أهـــل البطاح الأكارم
فاني لأرضى عبد شمس وما قضت — وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

وقـــد كنـــا نقـــول اذا رأينــــا — لـــذي جســـم يعد وذي بيــــان
كأنـــك أيهـــا المعطـــــي بيانـــا — وجسمـــا مـــن بـــني عبد المـــدان

وبنو المدان بن الديان من رؤساء قبيلة الحارث بن كعب من مذحج كانوا مضرب المثل في الطول وعظم الأجسام مع الجاه والعزة والمجد التليد ، قال الشاعـــر :

ولـــو أنـــي بليـــت بهاشـــمي — خئولتـــه بنـــو عبـــد المـــدان
لهـــان علـــي ما ألقـــى ولكـــن — تعالـــوا فانظـــروا بمـــن ابتلانـــي

وبنو هاشم موصوفون بالطول وعظم الأجسام أيضا وكان العباس بن عبد المطلب

عم الرسول عليه الصلاة والسلام اذا طاف بالبيت فكأنه فسطاط أبيض ، والفسطاط الخيمة الكبيرة المرتفعة .

كما أن العرب تعيب القِصر في الرجال وتستقبحه وتزدري القصير الضئيل اذا ضمهم واياه مجلس .

قدم كثير عزة الأموي المعروف على عبد الملك بن مروان وكان كثير مفرط القصر دميما فازدرى منظره عبد الملك فتمثل كثير بأبيات العباس بن مرداس التي يقول في مطلعها :

ترى الرجل النحيف فتزدريه　　　وفي أثوابه أسد مزير

فرفع عبد الملك مجلسه وقربه واستمع اليه لما عرف منزلته وأدبه ، وكان الجاحظ عمرو بن بحر قصيرا مشوه الخلقة مما سبب له قصره كثيرا من المضايقات كما كان الشعبي عامر بن شراحيل قصيرا ضئيلا نحيفا فاذا سئل عن ضآلة جسمه أجاب : — زوحمت في الرحم — وكان قد ولد هو وأخ آخر في بطن .

والعرب تقتحم التوأم من الرجال ، قال عنترة بن شداد :

بطل كأن ثيابه في سرحة　　　يحذي نعال السبت ليس بتوأم

فليت شعري كيف عابت العامة الطول وهو من الصفات المحمودة في الرجال وضرب من الشدة والعظم وكفى شرفا للطويل أن يكون طوله آية تدل على شرفه وسؤدده ، وطيب أرومته ومحتده .



بنـــو هـــلال

جاء في تاريخ حضرموت السياسي صفحة ٢٣٦ من الجزء الثاني أن (بني هلال) من أعظم أفخاذ كندة هاجروا من هينن ومرخة بحضرموت الى شمال افريقيا بسبب الجفاف والقحط وأول من هاجر منهم أحد رؤسائهم ويدعى أبو زيد الهلالي وقد مروا على اليمن في طريقهم الى الحجاز وبلغهم هناك ــ أي في الحجاز ــ أن برقة وقابس من أعظم مناطق افريقيا خصوبة ورخاء فرحلوا الى برقة) هذا بعض ما أورده الاستاذ صلاح البكري عن هجرة الحضارمة الى شمال افريقيا . ونحن لا ننكر هذه الهجرة وكيف ننكرها ؟ بعد أن عرفنا منهم هناك ابن عصفور العالم النحوي وابن خلدون العالم الاجتماعي ، ولكننا ننكر على الاستاذ صلاح الحاق بني هلال بقبيلة كندة اذ المعروف الذي لا يجهله نفس الاستاذ صلاح أن بني هلال ليسوا من كندة ، وشتان ما بين كندة وبني هلال وكأن عمر بن أبي ربيعة عناهما بهذا البيت حين قال :

هـــي شاميــة اذا مـــا استقلــت وسهيــل اذا استقـــل يمانـــي

بنو هلال كما يقول النسابون بطن كبير في قبيلة عامر بن صعصعة القيسية العدنانية ، وكندة بطن كبير في كهلان اليمانية القحطانية . وهجرة بني هلال كانت من بلادهم (نجد) لا حضرموت ، وبلادهم لا تزال معروفة لدى سكان قلب الجزيرة العربية في عصرنا الحاضر .

قال ياقوت الحموي في كتابه ــ معجم البلدان ــ « تربة واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها يصب في بستان ابن عامر يسكنه بنو هلال » . فتربة ومـــا جاورها من السهول والجبال كجبل حضن لبني هلال ، وان كانت قبيلة « البقوم » الأزدية القحطانية قد احتلته بعد هجرة بني هلال كما احتلت « تربة » ، وبقي لعامر بن صعصعة بستان ابن عامر الذي يعرف الآن « بالغريف » وهو لبني عامر وبني عمر من قبيلة (سبيع) المعروفة قديما ببني عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة ، وسبيع لا تزال محتفظة بمنازلها القديمة باستثناء تربة وجبل حضن وهذا مما يجعلنا نجزم بأن فـــي سبيع فخائذ من بني هلال اندرس اسمها كما اندرس اسم القبيلة نفسها . وقد تكون قبيلة بني ربيعة التهم وأهل حلى ومحائل على ساحل البحر الأحمر من تهامة من بقايا بني هلال العامرية القيسية .

أما ما قاله بعض النسابين كابن حزم في جمهرته والقلقشندي في نهايته بأن قبيلة حرب التي تسكن الحجاز من بني هلال فلا صحة له البتة اذ ان حربا بطن في سعد بـــن خولان من القبائل القحطانية .

أما قبيلة كندة فهم أبناء كندة واسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد من كهلان وبلادهم كانت ولا تزال بجبال اليمن مما يلي حضرموت وكان لهم ملك باليمن ونجد ويعرف البدو منهم في عصرنا الحاضر بالصيعر والكرب وابن بريك كما يعرف الحضر منهم بأبن اسحاق وباجابر وباكثير وآل مرتع وغيرهم .

واذا كانت في حضرموت عشائر تنتمي الى بني هلال كآل قار وآل خليفة في الحاضنة ، فقد تكون هذه العشائر من فخائذ بني هلال القيسية النجدية هاجرت من نجد واستقرت في حضرموت وقد تكون من فخائذ هلال بن عمرو بن جشم بن عوف ابن النخع من قبائل قحطان وهذا أقرب الى الصواب .

وفي الختام لا يسعني الا أن أحيي الاستاذ صلاح البكري على جهده المبذول بين دفتي كتابه الذي يستحق أكثر من التحية .



الرمزيـــــة

قالوا عن الرمزية : « انها تعبير عن الانفعالات والعواطف والأحاسيس والخواطر بالرنين الموسيقي أو بايماءة في المعنى حقيقة أو بظل لا يكاد يظهر تماما أو بها جميعا » .

وعرف هذا المذهب الأدبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي واشتهر الغربيون به أمثال بودلير وبول فاليري الذي عدوه رأس الشعراء الرمزيين الى أن رأينا هذا المذهب بين جماعة أبوللو . وفي الحقيقة انني لم أستسغ هذا النوع من الشعر بل أكرهه واستقبحه وللناس فيما يعشقون مذاهب .

وأذكر أنه دار بيني وبين الاستاذ عبد السلام الساسي في عـــام ١٣٧٥ هـ ان لم تخني الذاكرة نقاش على صفحات جريدة البلاد السعودية حول قصيدة (صبايا وشيوخ) للشاعر الدكتور بشر فارس وهو من الشعراء الذين يؤمنون بطرائق التعبير الرمزي . مما جعلني أضيف قصيدته (صبايا وشيوخ) الى شعر المعميات والأحاجي وطلبت من الاستاذ الساسي أن ينصب نفسه استاذا فيشرحها لنا ان أمكن شرحها فما كان منه الا أن لبى الطلب وأخذ يشرح للقراء القصيدة كلمة كلمة حسب فهمه لمعانيها وان كان الشعر الرمزي عادة لا يفهم معناه تماما الا ناظموه والدليل على ذلك قصيدة الخريف للشاعر الرمزي بول فاليري التي استعصى على المترجمين العرب نقلها من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية سالمة من الخلل الفني ، وليت شعري هل الاستاذ الساسي لا يزال عند حسن ظنه بالشعر الرمزي والرمزيين .

❊ ❊ ❊

١ ـ الكنـــــدرة والجزمـــــة

ساق الاستاذ الكبير الشيخ أحمد ابراهيم الغزاوي في (مطالعاته وتعليقاته) المنشورة في العدد ٦٢٨ من جريدة الندوة الغراء من الأدلة والشواهد ما يثبت بأن كلمة (الكندرة) التي تطلق اسما للحذاء العصري المعروف عربية صحيحة لا مولدة دخيلـــــة .

وربما يسأل سائل عن (الجزمة) أيضا وهو اسم مرادف لكلمة كندرة وقد يكون أكثر شيوعة منها ، هل له أصل في لغة الضاد . وعن (حي الكندرة) أحد أحياء مدينة جده ، ما أسباب تسميته بهذا الاسم ؟

جاء في معاجم اللغة العربية أن (الجزمة) الأكلة الواحدة في كل يوم وليلة ومنه أكل الرجل (جزمة) في النهار أي أكلة واحدة في النهار ، ربما احتوت على ما لذ وطاب من فواكه غضة وخضر شهية ولحوم طرية من حمام ودجاج وحباري ودراج ، ولم تذكر المعاجم التي بين أيدينا أن (الجزمة) نوع من أنواع الأحذية أو الشباشب أو القباقيب ، فلا لوم ولا تثريب على من وجه دعوته الى أصدقائه يروم منهم الحضور الى داره المتواضعة لتناول (جزمة) تغنيهم عن الأكل طيلة يومهم وليلتهم .

أما (حي الكندرة) بجدة فقد سمي باسم (الكنادرة) فخذ في عوف من بني مسروح بطن من بطون قبيلة (حرب) كانت تقطنه في زمان مضى كغيرها من القبائل العربية ذوات الحل والترحال والأغنام والجمال التي سكنت أطراف مدينة جدة حين كان العمران منحصرا في قلب عروس البحر الأحمر .

المعابـــــدة

كما أن (حي المعابدة) أحد أحياء مكة المكرمة سمي باسم (المعابدة) فخذ في عمرو من قبيلة (حرب) أيضا ومن أفخاذ هذا البطن الكبير غير فخذ (المعابدة) الافخاذ الاتية :

الحمران ومساكنهم بين مكة وجدة ، وبنو جابر ومساكنهم بين مكة وجدة أيضا ، والربقة ويسكنون جبل الفرع بقرب المدينة المنورة ، ومناش ويسكنون بقرب جبل الفرع وجهم ويسكنون الفرع .

فليس صحيحا ما أورده المرحوم الاستاذ رشدي ملحس في بعض تعليقاته على كتاب أخبار مكة للأزرقي من أن (حي المعابدة) سمي بهذا الاسم نسبة الى (أم عابد) امرأة كانت تسكن هذا الحي .

قال المرحوم الاستاذ رشدي ص ١٢٩ جـ ٢ من تاريخ مكة للأزرقي ما نصه :
(المحصب مسيل بين مكة ومنى ويقال له خيف بني كنانة وهو الخيف الذي تقاسمت فيه قريش على الكفر ويسمى أضا — الأبطح — والبطحاء — وهي ما انبطح من الوادي واتسع وزاد ابن حجر فقال : — انه يقال له المعرس بتشديد الراء ، قلنا أي قال رشدي ملحس — ويعرف اليوم — بالمعابدة — نسبة الى امرأة تسمى أم عابد كانت تسكن هذا المكان كما يقول المعمرون من أهل مكة .

٢ ـ الكنــــدرة والجزمــــة أيضـــــا

أشكر السيد الاستاذ أحمد شكري آل جيلاني على تعقيبه حول كلمتي المنشورة في (الندوة) عن الكندرة والجزمة ، وأحب أن أوضح للاستاذ أحمد بعض ما غمض عليه ان كان في كلمتي آنفة الذكر ما يسمى بالمعميات والأحاجي .

لم تذكر المعاجم التي بين أيدينا ان الجزمة أو الكندرة نوع من الأحذية أو الشباشب أو القباقيب ، وأعني المعاجم العربية فقط كلسان العرب والقاموس المحيط وتهذيب الصحاح الخ . أما المعاجم الأعجمية كالتركية والفارسية والهندية فانني لم أعنها البتة . واذا كانت كلمة الكندرة أو الجزمة تركية الأصل وتنطق هكذا (قوندره) و (جزمه) بكسر الجيم كما يقول السيد أحمد شكري فنحن لا نخالفه فيما ذهب اليه .

وهناك كلمات تركية غير الكندرة والجزمة لا تزال نستعملها نحن الحجازيين في لهجتنا العامية ، من هذه الكلمات على سبيل المثال لا الحصر : فاطورة ، وطبالجة ، ونبوتجي ، وجبخانة ، وكوبري ، وجمرك (كومرك) ، وباغجة (حديقة) ، واوظة ، وباشكاتب ، وبويه ، وتبسي ، وماصة ، وطاقية ، وبرنجي ، وأفندي ، وعربجي ، وقهوجي ، ومكوجي ، وهناك أسماء اسر معروفة منها : كتبخانة ، وكوشك ، وعلم دار ودفتر دار ، وأن هناك كلمات تركية يستعملها أخواننا المصريون منها : هانم وبسطرمه واجزاخانة وسلخانة وجوال (شوال) وتيزه (خالة) .

أما حي الكندرة المعروف في جده فانني لم أقل بأنه مشتق من كلمة (كندرة) بضم الكاف التي نطلقها اسما للحذاء ، وانما قلت بأنه سمي باسم (الكنادرة) فخذ في عوف من بني مسروح بطن من بطون قبيلة (حرب) كانت تقطنه في زمان مضى . وان مـــا استنتجه الاستاذ أحمد شكري وتوصل اليه من أن اسم (الكندرة) بفتح الكاف أصله تركي محرف من (قاندرة) أي وادي الدم لم يبن الا على الحدس والظن .

ꕥ ꕥ ꕥ

الشجاعــة والجـــبن

الشجاعة ضرب من الخصال الحميدة التي يعتز بها العربي أيما اعتزاز متى توفرت فيه ، والعرب بجبلتها تكره الجبن والفرار من الحروب اذا ما استعرت وحمي وطيسها ، وتستحسن الاقدام ولو على الموت الزؤام حتى قالوا : (احرص على الموت توهب لك الحياة) .

وكانوا يطلبون الموت قعصا وينفرون من الموت على الفراش ويقولون فيه : (مات فلان حتف أنفه) .

قال السموأل بن عاديا :

ومـــا مـــات منـــا سيد حتف أنفـــه	ولا طـــل منـــا حيـــث كـــان قتيـــل
تسيل علـــى حـــد الظبات نفوسنـــا	وليس على غـــير السيوف تســـــيل

وفي العرب فرسان معروفون بالشجاعة وخوض الحروب وغمارها من الالى عناهم الشاعر بقوله :

قـــوم اذا لبســـوا الحديد حسبتهـــم	لـــم يحسبـــوا أن المنيـــة تخلـــق
انظر بحيث تـــرى السيوف لوامعـــا	أبـــدا وفـــوق رؤوسهـــم تتألـــق

من هؤلاء الفرسان ربيعة بن مكدم الكناني أحد فرسان مضر المعدودين فـــي الجاهلية وحامي الظعن بعد موته وهازم قبيلة غامد الأزدية القحطانية حتى قالت امرأة منهم تعيرهم :

الا هـــل أتاهـــا علـــى نأيهـــا	بمـــا فضحـــت قومهـــا غامـــد
تمنيتـــم مائـــتي ـــ فـــارس	وردكمـــو فـــارس واحـــد
فليـــت لنـــا بارتبـــاط الخيـــو	ل ضأنـــا لهـــا حالـــب قاعـــد

ومنهم شبيب الخارجي من أبطال العالم وأحد كبار الثائرين على بني أمية وامرأته غزالة من شهيرات النساء في الشجاعة والفروسية وقد فر منها الحجاج بن يوسف الثقفي في احدى الوقائع التي دارت بينه وبين الخوارج . قال عمران بن حطان الفارس المعروف يخاطب الحجاج :

أســـد علي وفي الحـــروب نعامـــة	فتخـــاء تنفـــر من صفير الصافـــر
هـــلا كررت على غزالـــة في الوغـــى	بل كـــان قلبـــك في جناحـــي طائـــر

ومن أشهر فرسان العرب في العصر الحاضر محمد بن هندي بن حميد المقاطي أحد فرسان عتيبة وكبيرها عام ١٣٣٣ هـ. قال الزركلي في (ما رأيت وما سمعت) ص ١٤٨ ما نصه : (أخبار ابن حميد كثيرة تذكرنا بما كانوا يحدثون به عن شجعان العرب في الجاهلية وكانت بينه وبين قبائل قحطان في أطراف نجد عداوة متأصلة حتى أنهم نذروا مائة ناقة لمن يأتيهم به قتيلا أو جريحا أو أسيرا) ثم أخذ الزركلي يذكر شيئا من أخباره .

ومن شهيرات النساء في الشجاعة في العصر الحاضر غالية البقمية من قبيلة البقوم المتوفية في أواسط القرن الثالث عشر من الهجرة وهي التي أنزلت بجيوش مصر الخسائر الفادحة وهزمتهم شر هزيمة حتى اعتقد المصريون أنها ساحرة وأن لها قدرة على اخفاء رؤساء الوهابين عن أعين المصريين ، قال الزركلي في كتابه الاعلام ج ٥ ص ٣٠٦ نقلا عن كتاب البحر الزاخر لمحمود فهمي المهندس ما نصه : « ففي أوائل نوفمبر ١٨١٣ م. ذي الحجة ١٢٢٨ هـ. سافر طوسون من الطائف ومعه ألفا نفس للغارة على تربه وأمر عساكره بالهجوم وكان العرب محافظين على أسوار المدينة بشجاعة ومستبشرين بوجود غالية معهم وهي المقدمة عليهم فصدوا طوسون وعساكره واضطر هؤلاء الى ترك خيامهم وسلاحهم وقتل منهم في ارتدادهم نحو سبعمائة نفس ومات كثيرون جوعا وعطشا وكانت النتيجة المنتظرة لهذا الفشل أن يموت جميع العسكر لولا أن توماس كيث مع شرذمة من الخيالة استردوا مدفعا وحفظوا به خط الرجعة وتعطلت بعد ذلك الاجراءات الحربية ثمانية عشر شهرا » .

وحب العرب للفروسية والشجاعة لم يمنع بعض رجالاتهم من تمجيد الجبن والخور والفزع والهلع حتى حسن بعضهم الفرار يوم الزحف ، قال الشاعر :

الله يعلم ما تركت قتالهم … حتى رموا مهري بأشقر مزبد
وعلمت أنى ان أقاتل واحدا … أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدمت عنهم والأحبة فيهم … طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

وقيل لأعرابي اتغزو العدو ؟ قال : والله اني لأبغض الموت على فراشي فكيف أخب اليه ركضا .

وممن عرف بالجبن واشتهر به حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام . أنشد يوما سيد البشر محمدا صلى الله عليه وسلم قصيدته التي يقول فيها :

لقد غدوت أمام القوم منتطقا … بصارم مثل لون الملح قطاع
تحفز علي نجاد السيف سابغة … فضفاضة مثل لون النهى بالقاع

فضحك عليه الصلاة والسلام لمعرفته بشجاعة حسان ، ان كانت له شجاعة تذكر في الوقائع والغزوات .

وفي الشعراء عشش الجبن وباض وفرخ فكثير منهم أقعده الخوف والهلع عن خوض الوغى اذا ما دارت رحاها .

يقول أبو دلامة الشاعر العباسي المعروف لروح بن حاتم المهلبي لما أمره بمنازلة أحد الخوارج :

اني استجرتك أن أقدم في الوغى ... لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة ... فتركتها ومضيت في الهراب
ماذا تقول لما يجيء وما يرى ... من واردات الموت في النشاب

وقيل لرجل شاعر تقدم وهو في بعض الوقائع فأنشأ يقول :

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل ... أخاف على فخارتي أن تحطما
فلو كان لي رأسان أتلفت واحدا ... ولكنه رأس اذا راح أعقما
ولو كنت مبتاعا لدى السوق مثله ... فعلت ولم أحفل بأن أتقدما
فأوتم أولادا وأرمل نسوة ... فكيف على هذا ترون التقدما

والجبن عار وسبة متى حل بقوم حل بهم الهوان وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بالخسران المبين ورحم الله عائشة أم المؤمنين التي قالت : (ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فأف للجبناء فأف للجبناء) أعاذنا الله واياكم من هؤلاء الخلق وان كان الجبن لا يخرج المرء من جمهرة المؤمنين . كما جاء في حديث شريف معروف .

الغنـــاء في الحجــاز

عرفت العرب الغناء منذ عرفت الشعر الذي ترنمت به منذ آلاف السنين فكانت الجرادتان أول من غنى في العرب البائدة وهما قينتان لقوم عاد ومن مشهور غنائهما قولهمـــــا :

ألا يا قيـل ويحـك قم فهينـم   لعـل اللـه يصبحنـا غمامـا

وكان أول من سن الحداء للابل مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكان من أحسن الناس صوتا والحداء من أقدم أنواع الغناء العربي ، يتغنى به الحادي خلف العيس فتقطع المفاوز دون ما شعور بالتعب والاعياء والكلال ، وللجمال كما لسائر الحيوانات آذان تعشق الصوت الجميل الشجي ، وهل يكره الصوت الحسن ؟ الا جماد لا يتحرك ، قال بعض المفسرين في قوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) هو الصوت الحسن ، وقال عليه الصلاة والسلام لأبي موسى الأشعري وكان ذا صوت جميل : (لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود) .

وكان الغناء عند العرب كما قال هشام بن الكلبي : « على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج ، فأما النصب فغناء الركبان والقينات ، وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات ، وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يثير القلوب ويهيج الحليم وانما كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهرا فاشيا وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العـــــرب » .

فاذا نظرنا الى قول ابن الكلبي بعين الاعتبار علمنا أن لوطننا مكانة سامية فـــي الغناء والموسيقى بألوانها لأنه ضم المدن التي حصر الغناء فيها ابن الكلبي .

وقد تطور الغناء لدى الحجازيين أو بالأحرى لدى سكان مكة والمدينة بتطور الزمن وكان اختلاطهم بمن يفد الى أراضيهم المقدسة في أشهر الحج من أجناس شتى كالفرس والروم وغيرهم له الأثر الفعال في قيام النهضة الغنائية التي قام بها عبيد الله بن سريج المكي المتوفي في أواخر القرن الاول وهو أول من ضرب على العود بمكة بالغناء العربي وكان يحسن الغناء ارتجالا فيأتي باللحن البديع وهي ميزة لا نعهدها في الموسيقيين حتى القرن العشرين عصر بتهوفن وموتزارت وشوبارت وشوبان .

وقد تفوق ابن سريج المكي على أستاذه ومعلمه طويس المدني الذي كان لا يحسن سوى النقر على الدف مع أنه من أشهر المغنين وأعلمهم لأصول الغناء في صدر الاسلام .

وكان فن الغناء مشاعا لمن يطلبه يتلقاه صغار المغنيين عن كبارهم فيلتمسون التجديد لألحانهم ويضيفون اليها ما يرونه حسنا جميلا . فمنهاج معبد ابن وهب المدني نابغة الغناء في العصر الأموي المتوفي في أوائل القرن الثاني ليست كمنهاج طويس وتلامذته من أمثال ابن سريج والدلال ونئومة الضحى ، كما أن ابن محرز المعاصر لمعبد له طريقة أخرى في الغناء والتلحين مشهور بها فهو ممن آمن بضرورة تطعيم الألحان العربية بألحان الروم والفرس فشخص الى ديارهم وتعلم منهم ألحانهم ومزجها بغناء العرب ، وهذه وجهة نظر رأينا من أخذ بها في عصرنا الحاضر فأدخل شيئا من الموسيقى الأوربية على موسيقانا العربية كالموسيقار العربي محمد عبد الوهاب .

وانقضت عصور ذهبية وتلاشت دولتان عظيمتان دولة بني أمية ودولة بني العباس وفيهما بلغ العرب أوج الكمال والرقي والتقدم ، وتكاثر الطامعون على خيرات الجزيرة العربية ، كل يريد لنفسه مغانمها الكثيرة الى أن اذعنت أخيرا لحكم الأتراك فأناخ على الحجاز بكلكله ولبث سلاطينهم ما لبثوا ينشرون الحنادس ويطفئون الشموس ويئدون الفنون والعلوم ، ويحيون الجهل والدجل ، الى أن قيض الله لها (عبد العزيز آل سعود) ملكا انسانا صالحا ذهب الى رحمة ربه وتولى بعده خير خلف لخير سلف . فاستعاد الحجاز أنفاسه المكبوتة وعرف أهله الأمن والسلام والاستقرار والهدوء ولذة العيش وطعمه وعادت صناعة الغناء تأخذ محلها الطبيعي فعرفنا سعيد أبا خشبه رحمه الله ومحمد بن شاهين المكيين والعقيد طارق عبد الحكيم الطائفي الذي يعد استاذ الموسيقى الأول في الحجاز في العصر الحاضر ، فنأمل أن تكون على يديه نهضة موسيقية موفقة يستعيد الحجاز ما له من مكانة في الألحان ، ينبئك عنها أبو فرج الأصبهاني في كتابه الاغاني .

وان أنس لا أنس ما قدمه لنا طارق مع أعماله المنوطة به من ألحان خالدة مثل المزمار والعرضة و (أوبريت الحج) الذي اشترته منه اذاعة القاهرة وأذاعته في العام الماضي مع أن اذاعتنا المحبوبة أحق بشرائه واذاعته من أية اذاعة أخرى ولنا أمل كبير في مديرها العام الاستاذ جميل حجيلان بأن ينشىء لها (أوركسترا) يقوم بادارتها فنان كطارق حتى تأخذ ألحاننا مكانتها بين الألحان الوافدة علينا من مصر واليمن والخليج العربي وانني أخيرا لأربأ بمغنينا عن انشاد أغاني الخلاعة والدعارة والمجون التي لا نرغبها ونطرب لها لأنها مفسدة لأخلاقنا وتقاليدنا العربية الموروثة ، ولنا كلمة أخرى بمشيئة الله عن الأصوات في الغناء العربي قديما وحديثا .

فهرس

ص	الموضوع

ص	الموضوع



مطابع الزايدي للأوفست ـ الطائف